مجلة البيان – العدد 46 ، جمادى الآخرة 1412هـ / ديسمبر 1991م

الافتتاحية

هل هذا من السياسة (2)

من سنن الله في التغيير وانتقال الأمة من الضعف إلى القوة أن يملك المسلمون معرفة تفصيلية واستبانة واضحة لسبيل المجرمين، ليأخذوا حذرهم وليفرقوا بين المنافقين والمتاجرين بالشعارات والمبادئ وبين من هم أهل إيمان ورسوخ، وأصحاب أخلاق زكية ومعدن أصيل، ولكن لأن المسلمين لم يمارسوا القرار السياسي بالشكل الصحيح، ولم يشارك الدعاة والعلماء خاصة بهذا القرار فقد ضعف فيهم هذا الجانب، مما جعلهم يتحركون خبط عشواء ويظنون أنهم يمارسون "السياسة".

وقديماً قالت العرب "قتلت أرض جاهلها" وكأننا لا زلنا نعيش حالة الضعف التي مرت بها الأمة الإسلامية في فترات من تاريخها حين ظهرت كتابات سياسية تفصل بين الدين والسياسة فيقول أحدهم:"والسياسة سياستان، سياسة الدين وسياسة الدنيا، فسياسة الدين ما أدى إلى قضاء الفرض، وسياسة الدنيا ما أدى إلى عمارة الأرض" (1). والآن يقال: هذا من المصلحة السياسية ولو عارضت المبادئ الإسلامية، بينما نجد أنه في حالات القوة ظهرت كتابات تقول: إن السياسة يجب أن تتبع الشرع وأن أي تنظيم لأمور الدنيا إنما هو لرعاية الدين، وقد كتب إمام الحرمين (2) مهاجماً من يريد فصل السياسة عن الشريعة وأطال النَفَس فيه وقال معتذراً عن هذه الإطالة: "وإنما أرخيت في هذا الفصل فضل زمامي وجاوزت حد الاقتصاد في كلامي لأني تخيلت انبثاث هذا الداء العضال في صدور الرجال" (3). وقال أيضاً: "وإنما ينسلُّ عن ضبط الشرع من لم يحط بمحاسنه ولم يطّلع على خفاياه ومكامنه، فلا يسبق إلى مكرمة سابق إلا ولو بحث عن الشريعة لألفاها أو خيراً منها في وضع الشرع" (4).

والحقيقة أننا ما زلنا نعيش في مرحلة ما بعد الحضارة الإسلامية ولم ندخل بقوة مرة ثانية لصنع هذه الحضارة. هذه المرحلة يصفها مالك بن نبي بقوله: "ولو أردنا أن نسمي هذه المرحلة الخالية من الروح والعقل لكل حضارة لأطلقنا عليها بلا تردد اسم المرحلة "السياسية" بالمعنى السطحي لكلمة سياسة" (5) ويبدو أننا نفهم السياسة كما يصفها أحد الغربيين "بارتيلمي سانتهيلر" : "إن السياسة وهي مستغرقة في مشاكل الساعة لا يسعها أن تسمو إلى المبادئ" (6).

فإذا جئنا إلى قضايانا الكبرى لنطبق عليها مفهومنا للـسياسـة الشـرعـية، وكيف نتعامل في كل مرحلة فماذا نحن فاعلون ؟ إن القضية السياسية الأهم خلال هـذا القرن كله هي قضية فلسطين، التي جعلها الله مركز الصراع بيننا - وبين اليهود والنـصارى من أمم الغرب. وإذا كان المسلمون على وعي بأن يرفضوا ما يسمى "مؤتمر السلام" والـذي هـو في حقيقـته مؤتمر لإذلال المسلمين ولإزالة العداوة والبغضاء من قلوب المسلمين لليهود واعتـراف بـوجـودهـم وحقهم في أرض فلسطين ..؛ إذا كـانـوا عـلـى وعـي بـهـــذا فلماذا يخدعون للمرة الألف بالمتاجرين بهذه القضية، لقد تاجر بها القوميون والاشتراكيون والانتـهازيون وكـلـهـم سقـط وانكشف في أتون المعركة الحقيقية، ولم يبق إلا الشاب المسلم والـطفـل المسلم والمرأة المسلمة الذين يقفون ببطولة أمام صلف اليهود.
ومن الذين تاجروا ويتاجرون بهذه القضية الإيرانيون ومنذ بداية ثورتهم، ولكننا وجدناهم بعد فترة قصيرة يشترون الأسلحة من إسرائيل ؛ أو تكون إسرائيل وعمـلاؤهـا وسطـاء لشراء الأسـلحـة الأمـريـكيـة، وأثـناء انعـقـاد مؤتمر طهران هلك اليهودي البريطاني "ماكسويل" صاحب الشركات ودور النشر والصحافة، وانـكشـف أمـره فـي صفـقـات الأسلحة لإيـــران وعمالته للموساد. والعجيب أن الذين ذهبوا إلى طهران كانوا يهاجمونها لأنها وقفت موقـفاً رديئاً من المجاهدين الأفغان، ويهاجمونها لأنها وقفت موقفاً متخاذلاً أيام حرب الخلـيـج ووقفت موقفاً سلبياً من القضية الفلسطينية، فكيف أصبحت الآن هي القابضة عـلى نـاصية تحرير فلسطين.
وإذا كنا لا نقبل بمؤتمر مدريد فهل المزايدات والشعارات ستساعد في تحرير فلسطين ونحن نعلم أن الصراع طويل وطويل بيننا وبين اليهود ومَنْ وراءهم فلماذا لا يكون هناك خـطـوات قوية على الطريق، وما يقوم به إخواننا المجاهدون في فلسطين هو خطوة كبيرة، ولكن لابد من تكتل للمسلمين يقابل هذا الحشد من أمم الغرب علينا، لابد من تكتل القوى الصـادقـة مـن أصـحـاب الـعقـائد الصافية، لابد من إعداد أجيال قوية، وتوعية الـشعـوب وتـقـويـة الاقتصاد، وإن جـورج ووديـع لا يملـكون حلاً، وهم الذين شجعوا على ضرب الفلسطينيين عام 1970 وهم الذين أساؤوا إلى سمعة الفلسطينيين بأعمالهم الاستعراضية.
إن تاريخ المسلمين في هذا العصر مليء بـالتـجارب الغـنـية في مجـال التحالفات والحوار،. وفـشلـا ونجاحها، وقد كتب الكثير حول أمور كانت مجهولة فـي السـابـق عـن الـعقـائـد والـفرق، وعـن أشـخـاص بارزين، فلماذا لا يستفاد من هذا كله، وكم كنا نتمنى أن ننتهي من عصر الشعارات الفارغة والمزايدات والمؤتمرات الكلامية.

الهوامش:

1 - ابن الحداد، محمد بن منصور: (الجوهر النفيس في سياسة الرئيس)، تحقيق رضوان السيد 1983، وابن الحداد ألف هذا الكتاب لبدر الدين لؤلؤ أمير الموصل المتوفى عام 657 هـ
2 - عبد الملك بن عبد الله الجويني (419 - 478 هـ).
3- الغياثي، للجويني ص 222 تحقيق د. عبد العظيم الديب.
4- المصدر السابق 229.
5- شروط النهضة ص 79.
6- محمد الحمداوي: (في نطاق التفكير الإسلامي) ص 51 ط. دار الثقافة - الدار البيضاء 1979.

قراءة في مجلة المنار

عبد القادر حامد

كـنت أتـصفـحبعض مجلدات "مجلة المنار" التي أنشأها الشيخ محمد رشيد رضا، فخطرت خاطرة عـلى ذهـني، وهـي: أن تـُستـَعرض هـذه المجـلة مـن أول عـدد صـدر فيها إلى يوم تـوقـفـت، ليـكـون ذلـك استـرجـاعاً لجـانـب مـن تـاريـخ هـذه الفترة، وهو جانب الدعوة الإسلامية، وموقف الناس والدول والقوى الفاعلة حينذاك من ذلك.

والـدعـوة الإسـلامـية جـهـد بـشـري، يـعتريه ما يعتري الجهود البشرية الأخرى من آثار ومؤثرات، فينجح حيناً، ويخفق حيناً، وتخـتـلـط فيـه الإرادة والعـاطـفة، فـتؤثـر فـيه قوة الإرادة وضعفها، وحرارة العاطفة والشعور وبرودتهما، ويتلون بما لـلسجـايـا مـن محـاسن ومساوئ، وما للأخلاق من شمائل وغوائل، ولهذا فعندما نستعرضها من خلال مرآة "المنار" لا يعـني أنـنا نـتعـصب لمـا عـرض أو لطريقة عرضه ؛ ونقول: هذا هو الطريق، وليس ثمة غيره، وهو ما ينبغي أن نستجمع جـهـودنا ونوجهـه من أجله، وإنما هي خطرة خطرت، أردنـا مـن ورائـهـا عرض القضايا التي اهتمت لها "المـنار"، واعتـبارهـا بـالمشـكلات الـتي نواجهها اليوم: هل هي المشكلات نفسها ؛ أم تغير منها شيء ؟ ما الذي تغير، وما الذي لا زال حيث هو ؟ مـا الحـلول التي اقـترحت ؟ وما مدى نجاحها ؟ وهل اختلاف العصر يقتضينا البحث عن حلول أخرى .... الخ.

لقد بدأ إصدار مجلة "المنار" في العَشر الأخير من شهر شوال عام 1315 هـ (1898 م) أي قبل حوالي سبعة وتسعين عاماً من اليوم. وهـي فـترة عصيبة من تاريخ الشعوب الإسلامية، إذ كان أكثرها واقعاً تحت السيطرة الغربية المباشرة، والبـاقـي كـان آيلاً إلى أن يسقط تحت تلك السيطرة، وهو الأجزاء التي كانت لا زالت تحت الإدارة العثـمانـية، التـي كـانـت في حـكـم المـنهـارة،

ولم تـُجْدِ جهـود السـلطـان عبد الحـمـيد إلا في تأجيل الإعلان عن وقت الانهيار.
وحـال المـسلمـين العـامة كـانـت في درجة مـن الضعف لا تحسد عليها، يقابلون ما يجري حولهم وعليهم بأعين مفتوحة، وأيد مغلولة، وعـقـول مشـلولـة. يـدبر أمرهم أجنبي شرس طـامـع، أو وكـيل لـه مـدخـول الـعقيـدة دنيء النفس. وكان عبد الحميد يبدو وكأنه يريد إيقاف العجلة التي بدأ دورانها في زمن جده "محـمود الثاني" الذي بدأ الإصلاحات على النمط الأوربي، واستقدم المستشارين الأجانب من أجـل ذلـك. واشتد دورانها في عهد أبيه "عبد المجيد" بصدور:"التنظيمات" فانفتح على الدولة العـثمانـية بـسبـب ذلـك وبسبـب الضغـوط الخـارجـية مـن الأوربـيـين أبـواب لم يـعد بإمكان عبد الحميد ولا غيره سدها أو التحكم فيما يدخل منها.
ونتيجة لطغيان الحضارة الأوربية الكاسح، فقـد قـوي نفوذ الأقليات التي استخدمتها أداة لبسط نفوذها، للتَّدخُل باسم حمايتها وإنصافها. وهـكـذا انقلبت الموازين، وبدأ عهد صعود هذه الأقليات - بتعليمها وتسليحها بأسباب القوة - عـلى حسـاب الأكـثريـة المـهملة التي وجدت نفسها بعد عهود طويلة من الجهل والتجهيل في عالم غير عالمها.
أصبح الطـريـق ممـهداً للإجـهاز على كيان المسلمين السياسي، ففساد داخلي يرافقه ضغط خارجي وأقاليم تسقط ؛ واحداً بعد الآخر تحت وطأة الغربيين، وحكام فسقة فجرة سفهاء من طراز الخديوي "إسماعيل" يمـهـدون الطـريق لسـيطـرة الأجـانـب المـطلقـة علـى البلاد والعباد.
هذا هو الجو الذي بدأ فيه صدور "المنار".

أهداف المجلة :

يلخص محمد رشيد رضا أهداف مجلته بقوله:
"... أمـا بـعد: فـقد أنشأنـا هذا "المنار" في العشر الأخير من شهر شوال سنة 1315، وبينا غرضنا منه في الصحيفة الأولى مـن صـحفـه وهـو مسائـل كـثيرة يجمـعها: الإصلاح الديني والاجتماعي لأمتنا الإسلامية، هي ومن يعيش معها، وتتصل مصـالحـه بمـصالحها، وبيان اتفاق الإسلام مع العلم والعقل، وموافقته لمصالح البشر في كل قطر وعصر، وإبطـال ما يُورَد من الشبهات عليه، وتفنيد ما يعزى من الخرافات إليه."
هكذا يحدد أهدافه، ومن ذلك يتبين أن المشكلة - كما يراها رشيد رضا - هـي فـهم الناس لـلديـن ؛ وأحـوالهـم الاجتماعية. وقد انصبت جهوده - فيما بعد - في هـذيـن المجالين:
1 - تصحيح نظرة المسـلمـين في عصره إلى الإسـلام: سـواء الملـتزمون أو غيرهم. أما الصنف الأول: فقد كانت تعكر على عواطفه وإخلاصه كثير من الأعـمـال الـتي كـان يـُظَنُّ أنها من الورع والدين وهي ليست كذلك، وإنما هي

عادات وأعراف وتأثيرات تراكمت عبر القرون بسبب الجهل وتهاون أهل العلم، ولها أسبابها الكثيرة كالتأثر بالعادات والأعراف غير الإسلامية، وشيوع التصوف الأعجمي، وجهل الحكام أو إهمالهم بث العلم الصحيح وتشجيع العلماء الاحرار الذين يصنعون ثقافة الأمة ويكونون لسانها الناطق وضميرها الحي.
وأما الصنف الثاني: فهو الصنف الذي تأثر بالدعاية الأوربية والتبشيرية - نتيجة نيله قسطاً من التعليم، واحتكاكه بمدارس البعثات التبشيرية التي غزت بلاد الشام ومصر، أو كان من الذين ابتعثوا إلى أوربا لإكمال تعليمهم في عصر محمد علي ومن بعده، فقد كان لهؤلاء أثر في انحلال الثقة في دين الأمة (وهو الإسلام) إذ كان الكثير منهم معجباً بلا حدود بالثقافة الغربية، لا يعصمه من المبالغة في ذلك عقيدة في القلب متينة، ولا علم شرعي صحيح، وهكذا رجعوا إلى بلادهم وفيهم جرأة تغذيها السطحية، واحتقار للذات يغطونه بكبرياء زرعتها في نفوسهم امتيازاتهم وما نالوه من معرفة ظنوا أنها إكسير الحياة لأمتهم.
2 - محاولة إخراج المسلمين من العجز الاجتماعي الذي حل بهم، وتبصيرهم بعيوبهم وأمراضهم التي تفتك بهم وتمنعهم من النهوض، وذلك بحضه على التربية والتعليم.

مقدار المطبوع :

بدأ رشيد رضا بطبع [1500] نسخة من كل عدد، ووزعها على من يعرف في مصر وبلاد الشام، والقليل في غيرهما من البلاد الأخرى، ثم عاد إليه أكثر ما أرسل إلى المصريين - ولا يذكر السبب لذلك - وبعد ذلك بقليل منعت رقابة الدولة العثمانية ما كان يرسل إلى السوريين وسائر العثمانيين، فاقتصر على طباعة [1000] نسخة، ويقول: "مرت السنة وسنتان بعدها وما كاد المشتركون يزيدون على ثلث الألف إلا قليلاً" !
ومع شعوره بقلة عدد المطبوع إلا أن ذلك لم يدعه إلى اليأس ونفض اليد من هذا الجهد الذي لا يكادُ يحسُّ، بل استمر في آماله العريضة ويقينه أن الناس سوف تلتفت إلى "المنار" وتقدره حق قدره طال الزمن أو قصر، وهاهو ذا يقول:
"ما كان انتقاص عملي منتقصاً من أملي، ولا زهد الأمة في "المنار" باعثاً على جعله طعاماً للنار، ولا لفائف لبضائع التجار - كما هي سنة أصحاب الصحف في هذه الديار - بل كنت أحرص عليه، حاسباً أن الناس سيعودون إليه".
قد يبدو الرقم [1000] لأعداد مجة توزع بين الناطقين بالعربية رقما صغيراً، وهو كذلك، رقم صغير، فماذا عساه يفعل فيما بين مشرق بلاد العرب ومغربها، وحق لأكثر الناس تفاؤلاً أن يصاب بخيبة الأمل إذا ووجِه بهذا الرقم.

لكن إذا علمنا حال العرب في ذلك العصر ؛ ومبلغ الأمية الفاشية بينهم أدركنا أنه رقم لا بأس به. وسيزداد تقديرنا لهذا الرقم إذا قارناه بأرقام المطبوع من أعداد المجلات الجادة في عصرنا هذا. إن ما يماثل مجلة "المنار" من المجلات اليوم إذا وزع بين 15 إلى 20 ألف نسخة اعتبر توزيعه لا بأس به، ولكن إذا قارنا الحال اليوم بالحال التي كان عليها الناس زمن رشيد رضا عندما أصدر مجلته ؛ فستجيء نتيجة المقارنة لمصلحة ذلك العصر، وذلك لأن ما كان رشيد رضا يشير إليه بشيء من الأسف على أنه سبب قلة المطبوع - وهو الرقابة - لم تتراخَ قبضته، بل اشتدت واشتد بأسها، بل إن هذه القبضة أشرس ما تكون حين تواجه المطبوعات الداعية إلى فهم الإسلام الصحيح الذي يكون مخدوماً لا خادماً ولا مسخراً، ومقصوداً لذاته لا مطلوباً لغيره.

ومع أن نسبة التعليم قد تضاعفت أضعافاً كثيرة عما كانت في مطلع هذا القرن ؛ فإن نسبة القراءة وتوزيع المجلات لا تتناسب مع هذه الزيادة في نسبة المتعلمين، ومردُّ ذلك إلى عوامل كثيرة منها: الحيلولة القاسية دون وصول المفيد من الثقافة إلى أيدي الناس لتوهم أن في ذلك تهديداً لمصالح الطبقات المتنفذة. وشيوع وسائل زاحمت القراءة كالراديو والتلفاز وغيرهما، ومنها أيضاً هبوط المستوى التعليمي والالتفات إلى العناية بتمدد التعليم أفقياً وإهماله عمودياً. ثم انشغال الناس بضروريات الحياة التي أصبحوا يعانون المصاعب الكثيرة للحصول عليها في كثير من البلاد العربية.

إن الحقيقة المرة للواقع الثقافي في البلاد العربية منذ بداية ما يسمونه بعصر النهضة إلى اليوم تتكشف من خلال أرقام توزيع المجلات الجادة، فهذه المجلات - وأخصها المجلات الإسلامية - واقعة بين مطرقة الرقابة وسندان العجز المالي. وأي مجلة لا تدركها رحمة الدولة فمصيرها إما أن تُوقَف، وإما أن تتوقف، وإما أن تستمر من جيب الدولة، والتجربة الماثلة تشير إلى أنه قد يمكن لمجلة علمية مجردة أن تعيش على تمويل الدولة وتنجح ؛ أما المجلة التي لها مساس بحياة الناس اليومية - كالمجلات الإسلامية - فإن دعم الدولة لها يفقدها ثقة الناس بها تدريجياً، حتى إذا اكتشفت الدولة أنها أصبحت عبئاً بلا مردود تعالت الأصوات بإغلاقها "نزولاً عند رغبة الجمهور!" وقد تبقيها حفاظاً على الفكر الإسلامي الأصيل! وتشجيعاً للإسلام الحضاري!! ونظراً منها بعين العطف للمؤسسات الإسلامية.

مقابلة

حول الفقه والتفقه
(2)

حوار مع الشيخ علي بن سعيد الغامدي

هـذه هـي الحـلقـة الثانية من الحوار الذي أجرته البيان مع الشيخ على بن سعيد الغامدي أستاذ الفقه في المعهد العالي للدعوة في المدينة المنورة.

* البيان: تيسرت الطـباعـة والمـطابـع وسـهـل تداول الكتاب، وهذا شيء طيب بحد ذاته ولكن بعض الناس أخذوا من كتب الفقه مباشـرة وتجـرءوا عل الفـتوى، فما هو الحل. هل تحصر الفتوى بعلماء معينين أم تترك لكل من يجد نفسه قادراً على ذلك ؟

لا شك أن الفتوى عظيمة، وقد يبلغ الإنسـان عمراً طويلاً ويستجمع علماً كثيراً من الكتاب والسنة ولكنه مع هذا يتهيب التصدر للفتوى، وهذا الذي كان عليه علماء السلف. فالصحابة -رضوان الله عليهم- مع أنهم يعيشون مع النبي -صلى الله علـيه وسـلم- جواً عـلـمـياً عمـلياً ويرون بأعينهم الأحكام الشرعية ومع هذا إذا جاءهم أحد بسؤال أو استفتاء كانـوا يتـدافـعون الفـتوى، وربما لا يجيب أحدهم حتى يرى أنه قد تتعين الإجابة عليه، وكان أشياخ من أصحاب الرسول -صلى الله عليه وسلم- يفتون ولكن إذ اختلفوا يأتون إلى معاذ بن جبل فيصدرون عن رأيه، وهذا دليل على أنه لا يجوز للإنسان أن يتصدر للفتوى حتى يكون طالب علـم متفـقـة مؤهل، ومع ذلك عليه أن يدفع الفتوى عن نفسه ما استطاع إذا وجد من يفتي غيره. ولكن إذا لزمه الأمر ووقف هو على حكم المسألة ويعرف ذلك فلا بأس أن يبين الحكم ويذكر الـدليـل لـلمستـفـتي إذا كان يفقه ذلك، أما إذا كان عامياً فإنه يكفيه أن يخبره بحكم الشرع في هذا، والأصـل أن طـالـب العـلـم يقرأ الكتاب والسنة وفقه الأوائـل ويستـفـيد ويـذهـب إلى أي جهـة مـن الجهات ليعلم الناس، والأصل عدم تحديد الفتوى بشخص معين ولكن في زماننا هذا أصبح بعض الناس إذا حفظ حديثاً عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فإنه يخول لنفسه أن يفتي بما يشاء، فينبغي للإنسان أن لا يتصدر إلا وهو أهل لذلك، وقد يكون من المصلحـة أن تقـصر الفتوى في بلد من البلدان أو إقليم من الأقاليم على عالم أو مجموعة من العلماء الذين اشـتهـروا بالتقوى والورع وجمع أقوال أهل العلم والأدلة في المسألة الواحدة، ومعرفة الواقــع الـذي يعـيش النـاس فـيه، وكذلـك ربما تحـدد مسائـل يقع الناس فيها بأغلاط كثيرة ويفـتـون بأقوال مرجوحة، لا بأس أن تحدد جهة إذا كـان هـذا يحقـق مصلحة من المصالح لكن بشـرط أن يكون المفتي ممن تنطبق عليه الشروط والضوابط التي ذكرها أهل العلم في كتب الاجتهاد ولو جزئياً، وقد كانت عائشة -رضي الله عنها- تُسأل عـن مـدة الـتوقـيت في المسح علـى الخفين فقالت: عليك بابن أبي طالب فإنه كان يرافق النبي -صلى الله عليـه وسـلـم- في أسفاره فهذا دليل على الإحالة، وكـذلـك لما أحـالـوا عليها فيما تعرفه في مسألة الغُسل، فذكرت لهم الحديث

لأبي موسى وصدروا كلهم عن قـولهـا، وهذا لا ينقص من قدر الإنسان إذا عرضت عليه مسألة ثم ردها إلى عالم أو طالب علم.

* البيان: في أوربا أو الغرب بشكل عام أمور ومشاكل قد لا توجد في المجتمعات الإسلامية فإما أن يُسأل أحد الـعلـمـاء وهو بعيد عن أجواء المشكلة، ويفتي دون الاطلاع على الظروف هنا أو يسأل من يعيش في هذه البلاد وهو ليس أهلاً للفتوى فكيف ترون الحل ؟

وهذه قضية مهمة تحتاج إلى دراسـة جمـاعـية، لـلخروج بـالحلـول التي قـد تحد من هذه المشكلة، وقد يكون من الحلول الآنية أن تحصر أهم هذه المشكلات مـن قـبل أناس يعيشون في هذه المجتمعات وتقدم لهيئات علمية لدراستها من كافة الجوانب واقتـراح الحلول لها. وهذا العبء يجب أن تقوم به المركز الفقهية والجامعات الإسلامية وكذلك هناك عبء يقع على المراكز الإسلامية في هذه البلاد ويتمثل في إعداد أشخـاص يعـيشـون في هـذه البـيـئات ويدرسون المشكلات التي يواجهها المسلمون ويكونون مرجعاً للفتوى، وينشروا بحوثاً دورية توزع على الجاليات الإسلامية بلغة مبسطة خالية من التفصيلات الـتـي لا يحتاجها المسلم العادي.

* بعض الشباب الذين درسوا علوماً غير شرعية يحبون الازدياد من العلم الشرعي وخاصة في الـفقـه والمـلاحظ أنـهـم يقـرأون مـن الكـتـب الكـبيرة مباشرة وليس عندهم عالم، فبماذا تنصحون؟

طالب العلم هذا يعتبر مبتدئاً والأصل أن يدرس مختـصراً مـن المختصرات، وكل مذهب من المذاهب الأربع المشهورة عنده مختصرات، فيختار واحداً مـنهـا وليـستـخـر اللـه سبحـانه وتعالى في دراسة واحد منها. فكتاب (الهداية في مذهب أبي حنيفة) ميسر ومـقرون بالدليل ويلـيه في السهـولـة واليـسر كتاب (العمدة في الفقه) لابن قدامة على مذهب الإمـام أحـمـد وبالنسبة لمالك يمكن أن يتـفـقـه على (الموطأ) فقد جمع بين الحديث والفقه وله الشروح أو (الرسالة) لابن أبي زيد القـيرواني، ومـن أيـسر كـتـب الشافعية (المهذب) للشيرازي وهناك (المنهاج) أيضاً وله شروح متيسرة، ولا شك أن حاجة المسلمين اليـوم إلى وضع كتاب يجمع القول المترجح قد يحل المشكلة، ويجب أن يدرس أيضاً كتاب في أصول الفـقه، ومن أفضل المخـتـصرات وهـو يجـمـع أكثر أقوال أهل العلم كتاب الشيخ ابن عثيمين (الأصول من علم الأصول).

* ولكن هناك أقوال ضعيفـة ومـرجوحة في كـتب المـذاهب وأقوال ليس عليها دليل فكيف نتخلص من هذا إذا قرئت كتب في المذاهب ؟

نحن متفقون على أنه لا يقرأ لوحده. لأن الذي يقرأ لوحده سيكون له أخطاء كثيرة والأصل أن يقرأ على شيخ، والأصل أيضاً أن يكون هذا الشيخ علـى علـم بالأقوال والأدلة، وعندئذ يبين له أن هذا القول مرجوح بالدليل أو أن هذا

القول اعتمد على دليل ضعيف. هذا شيء لا بد منـه، ولهذا ذكروا في كتاب (الفقيه والمتفقه) وكتاب (جامـع بـيـان العـلـم وفـضله)، و(تذكرة السامع) على أنه لا بد أن يكون التفقه على شيخ.
والطالب هـذا ليـس عـنده شـيء الآن، فلابد له من موجه، وبعد ذلك إذا كان عنده القدرة على البحث والمقارنة والوصول إلى مـا هو أقوى وأقرب إلى الدليل، فهذا له وليس محجوراً عليه. وليس ملزماً بأن يأخذ المذهب كله بما فيه من ضعيف وصحيح.
* ما رأيكم بمن يعتمد الآن كتاب (فقه السنة) للشيخ سيد سابق ؟
هـذه طـريقـة غـير صـحـيحـة بـالـنسـبـة لـلشـبـاب المبتدئ، لأن الحاصل أنه لم يخرج عن المذاهب، كل ما في الأمر أن الشيخ سيد سابق يقارن أحياناً ويختار. وما دمت ستتابع سيد سابق فمتابعة الشافعي أو أحمد أو أبو حنيفة أو مـالـك أولى، إذ هـؤلاء عـلـمـاء الحـديـث والـسـنـة الأولـون، فـدراسة مخـتـصر مـن المختـصرات على شيخ وحصر الأحكام فيه، هذه مرحلة تأسيسية، ومثل (فقه السنة) يكون في مرحلة ثانية.
* ولـكـن لو فرضنا أنه قرأ (فقه السنة) أو كتاب (سبل السلام) مثلاً على عالم ما المانع من ذلك؟
لا أقول هناك مانع ولكن أتصور أنها خطوة ثـانـية، فـكأنـه مـثل الـذي يـبدأ من السلم من الـدرجـة الثـانية أو الثالثة قبل أن يبدأ بالأولى، والأولى لطالب العلم المتفقه أن يبدأ بصغار العلوم قبل المقارنات، فإذا انتهى من المرحلة الأولى يأتي إلى المرحلة الثانية.
ولـكـن ذكرت قبل قليل أن من أسباب دراسة بعض الناس الفقه المقارن محاولة الخروج من الانحـصـار فـي دائـرة المـذهب والخروج من أسر التقليد، وهذا فيه نظر، لأن الاتباع شيء والتقليد شيء آخر.
*مناسبة الحديث عن التقليد والإتباع ما الفرق بينهما؟
التقليد يصل بالإنسان إلى درجة التعصب، مثل الذي يقول: إمامنا فرغ من بيان الأحكام، ولـيـس لـلـقـرآن والـسـنـة حظ من القراءة إلا للتبرك وهذا الذي نهى عنه أهل العلم، ولكن الاتباع بمعنى أن تتبع مـذهـبـاً وتـسـأل عـن الدليل وبعد ذلك إذا انتهيت من مسألة تعود وتنظر في أقوال أهل العلم، ومناقشات المسألـة وتخـتـار قـولاً مـن الأقـوال إذا كنت مؤهلاً لذلك، ومن التأهيل:
1 - حفظ النصوص من القرآن والسنة وفهم شروحها ومعرفة طرق التعارض وعلم الخلاف.
2 - أن يكون على علم بعلم أصول الفقه واستنباط الأحكام من أدلتها.
البيان: وفـي آخــر هذا اللقاء أكد الشيخ -حفظه الله- على أهمية العناية بالدليل وتربية طلاب العلم على روح البحث والبعد عن التعـصـب فجزاه الله خيراً، ونسأل الله عز وجل أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

علماء الاجتماع والعداء للدين وللصحوة الإسلامية (6)

هل تحتاج بلادنا إلى علماء اجتماع ؟

د. أحمد إبراهيم خضر

نتابع استعراض شهادات علماء الاجتماع على أنفسهم، وإعلانهم فشل بحوثهم وجهودهم، وتصويرهم غربتهم عن المجتمعات التي يتناولون شؤونها، ويستوردون الحلول لمشكلاتها، مما يصف غرورهم وعنجهيتهم وانفصام شخصياتهم.

فمن ذلك.

أولاً: الاعتراف بأن علم الاجتماع يوجه إلى مستهلكين عاجزين عن رفضه، وأنه نما وترعرع على هامش المجتمعات العربية دون أن يحس به سوى أتباعه ومريديه وأصحاب المصالح الحيوية فيه، أما رجل الشارع فلا يدري عنه شيئاً.

يقول محمد عزت حجازي أستاذ الاجتماع بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية بالقاهرة:

"لن نقف طويلاً عند الحقيقة المحزنة التي تتلخص في أن جانباً - يبدو لنا كبيراً - من البحث والدراسة والكتابة في علم الاجتماع يوجه إلى مستهلكين عاجزين عن رفضه هم طلبة الجامعات والمعاهد العليا" (1).

ويضيف (سالم ساري) أستاذ الاجتماع بجامعة الإمارات العربية المتحدة:

"ولكن المتتبع لتاريخ علم الاجتماع في الوطن العربي يلاحظ بدائل شتى. إنه نما على هامش المجتمعات العربية ... نما وترعرع طيلة نصف قرن من الزمان أو يزيد دون أن يرعاه أو يحس به سوى أتباعه ومريديه وذوي المصالح الحيوية فيه" (2).

ويقول (ساري) في موقع آخر:

"وأود أن أضيف تحدياً يتمثل في الهوة التي تفصل بين علماء الاجتماع وأفراد المجتمع العاديين وكذلك القضايا الاجتماعية المعاصرة" (3).

ثانياً: الاعتراف بأن علم الاجتماع نشأ وتطور وما زال هزيلاً غير قادر على توفير نظرية خصبة ومناهج تقود إلى نتائج صلبة الأساس، وأنه كان ولا زال مغترباً عن الواقع الاجتماعي، وأن المتخصصين لم يساهموا إلا في صياغة مشكلات المجتمع العربي وتفسيرها وليس في اقتراح الحلول لها.

يصوغ محمد عزت حجازي هذا الاعتراف بقوله:

"إن نظرة تحليلية نقدية لواقع العلم تنتهي بنا إلى أنه يمر بأزمة، فقد نشأ وتطور وما زال هزيلاً لا يوفر مقولات نظرية خصبة قادرة على الإيحاء بأفكار

تعين على النماء والتجدد ومناهج يمكن أن تقود إلى نتائج صلبة الأساس نافذة الدلالة، وكان منعزلاً أو مغترباً عن الواقع الاجتماعي الحي" (4).
أما سعد الدين إبراهيم فقد عبر عن ذلك في موضعين قال في أولهما:
"وبالنسبة للوطن العربي فمنذ الحرب العالمية الأولى واستقلال البلاد العربية لم تظهر مساهمة علمية نظرية يعتد بها الوطن العربي".
وقال في الموضع الآخر:
"إن المتخصصين لم يساهموا بالقدر الكافي أو بالدرجة المطلوبة في صياغة مشكلات المجتمع العربي المعاصر وتفسيرها أو في اقتراح الحلول المطلوبة لهذه المشكلات " (5)
ثالثاً: الاعتراف بأن المعرفة التي أنتجها رجال الاجتماع معرفة هزيلة، وأن وجودهم هامشي وتأثيرهم على المجتمع محدود، وأنهم غير ذوي مصداقية أو فاعلية، وأن طالب المعرفة عن الواقع الاجتماعي يمكن أن يجدها في كتابات غير كتابات علم الاجتماع.
يشرح سعد الدين إبراهيم قضية نجاح علم الاجتماع في إثبات وجوده على مستوى الجامعات والمجتمع فيقول:
"إلا أن هزال ما أنتجوه من معرفة قد جعل هذا الوجود هامشياً وجعل فاعليتهم في التأثير على المجتمع محدودة إن لم تكن معدومة. وطالب المعرفة عن الواقع الاجتماعي العربي المعاصر قد لا يجدها إلا في الكتابات الأدبية والصحفية أو في أعمال بعض المشتغلين بالتاريخ والجغرافيا أو الفلسفة والدين، وقد لا تكون هذه المعرفة بالضرورة دقيقة أو عميقة ولكنها على الأقل متوفرة ومفهومة" (6).
ويتحدث سعد الدين إبراهيم أيضاً عن هامشية علماء الاجتماع فيقول:
"ليس صدفة أن هامشية علماء الاجتماع تواكب هامشية الفرد والمجتمع المدني في أقطار العالم العربي"(7).
أما عن عدم مصداقية وفاعلية رجال الاجتماع فيقول عبد الوهاب بو حديبة في ندوة أقيمت في أبو ظبي في أبريل عام 1983 تحمل نفس العنوان:(نحو علم اجتماع عربي):
"حتى الآن في البلاد العربية ليس لنا مصداقية وبما أنه ليس لنا مصداقية فليس لنا فاعلية. أما قضية المصداقية يمكن أن نقول أننا نتقدم إلى الأوساط العلمية (مؤتمرات وندوات) ونتكلم، أما الأيدي فهي فارغة أو اليد اليمنى لا تدري ما في اليد اليسرى" (8).
رابعاً: الاعتراف بأن المتخصص في علم الاجتماع نادراً ما يأتي إلى دراسته بمحض رغبته وإرادته، وأن المناهج وأساليب التدريس وهزال الكم من المعرفة في علم الاجتماع لا يساعد على تنشئة المتخصص فيه تنشئة سليمة.
يقول سعد الدين إبراهيم:

"يندر أن يأتي التخصص في هذا الميدان طالب بمحض رغبته وإرادته، وإنما غالباً مما يأتي الطلاب إلى علم الاجتماع إما بمحض الصدفة أو لعدم وجود بديل أفضل متاح أمامهم. والقلة التي تأتي بمحض إرادتها غالباً ما يختلط في عقلها مفهوم علم الاجتماع بمفهوم الخدمة الاجتماعية أو النزعات الخيرية والإصلاحية والإنسانية، ولا تساعد المناهج وأساليب التدريس وهزال الكم من المعرفة السوسيولوجية في الجامعات العربية على تنشئة سوية للغالبية العظمى من الطلاب الذين يقضون أربع سنوات في دراسة علم الاجتماع، ويتخرجون بمفاهيم غير ناضجة عن العلم ومناهجه ومفاهيمه ونظرياته" (9).
أما عزت حجازي فيشير إلى نفس هذه النقطة قائلاً:
"إن التعليم في مرحلة الليسانس والبكالوريوس والدراسات العليا لا يهتم بنوعية الطلبة ولا ما يقدم لهم من برامج وما يوفر لهم من فرص الإعداد والتنشئة، لهذا بسبب التركيز على التلقين من "كتاب مدرسي" ونتيجة للعمل من موقف التعالي على الواقع أو الانفصال عنه على الأقل ينهي الدارسون تعليمهم وهم ناقصوا الإعداد غير فاهمين للواقع وعاجزين عن التعامل معه" (10).
خامساً: الاعتراف بأن المؤلفات العربية في علم الاجتماع سيئة ومتخلفة وسطحية ومترجمة ومستعارة من واقع آخر ومن فكر مؤلفين آخرين تنم عن اضطراب وخلط شديدين، بالإضافة إلى أنها سريعة الإنتاج ومؤلفة أساساً لتحقيق الكسب المادي السريع.
يتحدث أصحاب المؤلفات العربية في علم الاجتماع عن مؤلفاتهم ويصفونها وصفاً دقيقاً. هذا "محمد الجوهري" يقول:
"ولم تلتفت - أي الدولة - إلى أن الأستاذ الجامعي صاحب الخبرة الميدانية الناقصة في فرع لعلم الاجتماع سيكون بالضرورة والقطع مؤلفاً لكتب سيئة ومتخلفة ومستعارة من واقع آخرين ومن فكر مؤلفين آخرين" (11).
ونقلاً عن "إياد القزاز" يقول "محمد الجوهري" عن كتابات رجال الاجتماع:
"إن تلك الكتابات ... علاوة على طابعها النظري فإنها ليست منهجية دقيقة في طريقة العرض ؛ بل إن بعضها ينم عن اضطراب وخلط شديدين، وهي تقدم للقارئ معالجة سطحية للموضوع. ويلاحظ فضلاً عن هذا أنه على الرغم من أن تلك الكتابات ليست ترجمات مباشرة للكتب الدراسية الإنجليزية إلا أن التأمل الدقيق لها يكشف لنا أن الجانب الأعظم منها عبارة عن ترجمات غير مباشرة مع إدخال بعض التعديلات عليها والملاءمة مع ظروف القارئ والإيجاز هنا وهناك نقلاً عن بعض الكتب الدراسية الإنجليزية خاصة الكتب المعتمدة منها"(12).
هذا ويدلي عبد الباسط عبد المعطي أستاذ علم الاجتماع بجامعتي القاهرة وقطر وأحد قادة حزب التجمع الشيوعي المصري وأحد الماركسيين البارزين

في علم الاجتماع ورئيس الجمعية العربية لعلم الاجتماع .. يدلي بدلوه في القضية معترفاً: "إن معظمنا يعيد إنتاج الفكر الغربي استسهالاً للاستهلاك وهذه مسألة حجمت العمل المنتج على مستوى أداء علم الاجتماع. هناك تشابه بين إنتاج "السفن آب" أو ترجمة الأفلام الأجنبية والاقتباس منها وبين تصنيع "الجينز" وبين ترجمة كتاب مدرسي مأخوذ عن المكتبة الأمريكية أو الإنجليزية. التشابه يأتي من قيم الاستسهال وبذل الجهد ومتطلبات السوق - سوق التدريس والتوزيع - الذي يلهث البعض خلفه كسباً للكسب المادي في وقت قصير نسبيا ... الجماهير التي يتعامل معها المشتغلون بعلم الاجتماع هي جمهور الطلاب والباحثين الشباب والمبحوثين. بالنسبة لطلاب مراحل الليسانس هم المستهلك للمؤلفات المدرسية التي ينتجها المشتغلون بالعلم وهم بالتالي مصدر دخل أساسي للقائمين بالتدريس في الجامعات العربية. لقد بينت الدراسات التي اهتمت بتحليل ممارسات التدريس وتقويمها في الجامعات العربية أن من بينها زيادة الاتجاه إلى الأعمال المترجمة التي هي في جوهرها إعادة إنتاج لأعمال آخرين وأياً كان جهد الترجمة فهو أقل عناء من التأليف ... كما يلاحظ أن المؤلف الواحد يكتب في معظم إن لم يكن جميع أبعاد التخصص وفروعه ... معنى هذا بالتأكيد - خاصة إذا ما وضعنا في الاعتبار التسلسل الزمني للأعمال المنشورة - تأليف سريع يستجيب لمتطلبات السوق، سوق التدريس وملاحقته، وتبدو الغاية هنا الكم الذي يلاحق الطلب والعائد من كل طلب، وإذا أضفنا إلى هذا أن المؤلف هو صاحب القرار في إلزام الطلاب بشراء مؤلفه فهو الذي يقرر وضع الامتحان وأنه يترتب على هذا فرض رسائل الدكتوراه المنشورة على طلاب الفرقة الأولى وفرض مؤلفات في بعض الفرق لا علاقة لها بمواصفات المقرر ومقرراته وتغيير الكتاب المقرر كل عام أكاديمي .. " (13).

أما سعد الدين إبراهيم فيقول في قضية المؤلفات العربية في علم الاجتماع: "... نادراً ما يجد طالب المعرفة إنتاجاً سوسيولوجياً عربياً يطفىء ظمأه لفهم الواقع العربي المعاصر بصورة منضبطة أو موضوعية أو شاملة أو حتى جزئية، فأكثر من ثمانين بالمائة من إنتاج أساتذة الاجتماع يكاد ينصرف كلية إلى الكتب المدرسية التي تحاول أن تعلم الطلاب مبادئ العلم وفروعه وتاريخه ونظرياته ورغم أهمية هذا الجانب من إنتاج أساتذة الاجتماع العرب للعملية التعليمية والتربوية إلا أن الشاهد هو أن معظم هذه الكتب المدرسية تتسم بما يأتي:

1 - تضخم الوعود بقدرات علم الاجتماع على فهم الواقع والتعامل الفعال مع المشكلات الاجتماعية.

2 - الاعتماد شبه الكامل على مصادر المعرفة الأجنبية والترجمة المباشرة أو من خلال آخرين.

3 - التعقيد اللغوي والمعنوي في طرح مفاهيم ومقولات علم الاجتماع إما للإيحاء بجهبذة فكرية أو في الأغلب لعدم الفهم والاستيعاب لما يتم نقله من مصادر أجنبية.
4 - ندرة ما يرد في هذه الكتب عن الواقع العربي (قطرياً أو قومياً).
5 - سطحية وتجزيئية القليل النادر الذي يرد في هذه الكتب عن الواقع العربي وعدم استناده إلى قاعدة صلبة من المعلومات التقريرية أو الأمبيريقية" (14).
سادساً: الاعتراف بأن مجتمع المشتغلين بعلم الاجتماع في بلادنا لا يشكل مجتمعاً مهنياً حقيقياً وإنما هم جماعات مصالح وشلل تتصارع مع بعضها ويسيطر أحدها على الآخر وأن تنشئتهم المعيبة أدت بهم إلى اللامبالاة والسلبية، وعوّدتهم على الوصولية والانتهازية.
يقول محمد عزت حجازي:
"أما بالنسبة للمشتغلين بعلم الإجتماع في الوطن العربي - من الصعب أن نقبل فكرة أنهم يكونون مجتمعاً مهنياً، فهم في الحقيقة ينتظمون في جماعات مصالح متغيرة أو شلل ... ويزيد الوضع سوءاً التنشئة المهنية المعيبة المشوهة التي تكف في الإنسان إمكاناته وقدراته الحقيقية واستعداده للمبادرة والانتماء، وتربي فيه اللامبالاة والسلبية وتعوده على الوصولية والانتهازية، وتركز أهم القيم والتوجهات وتدور معظم أنماط السلوك والتصرفات حول الذات والأسرة والشلة وفي نظم تسيطر عليها وتستغلها عناصر طبقية طفيلية وتشجع فيها الكسب المادي بأي ثمن وشكل والاستهلاك في سفه ... ولهذا لا تعرف حركة الفكر الاجتماعي في المنطقة العربية الموضوعية والحوار التي تساعد في إنضاج الأفكار وتصحيح الأخطاء وكف تأثير الطرف المتحيز" (15).
وهذا سعد الدين إبراهيم يتحدث عما أسماه الحرب الأهلية بين قبائل وعشائر وبطون رجال عالم الاجتماع في بلادنا فيقول:
"في المرحلة الأولى التي حاول فيها علم الاجتماع أن يشق مكاناً له في الجامعات (1940 - 1960 تقريباً) كان جزء كبير من طاقة المشتغلين به ينصرف إلى محاورات لإثبات علميته وموضوعيته وأهميته للمجتمع. وقد تجاوز المشتغلون العرب بعلم الاجتماع هذه المعارك الخارجية مع الذين عارضوا أو شككوا في أحقية هذا العلم الجديد بمكان تحت الشمس الجامعية. لقد انتصروا في تلك المعارك إما لأنهم نجحوا في إقناع الآخرين أو لأن الآخرين سئموا استمرار تلك المعارك. ولكن أساتذة الاجتماع سرعان ما دخلوا مع بعضهم البعض في معارك أهـلية في المرحلة الثانية (1960 - 1985) إما بالأصالة عن أنفسهم أو نيابة عن أطراف سوسيولوجية متعاركة مع مجتمعات أخرى، وساد تلك المعركة ما يمكن تسميته بمرض البداوة السوسيولوجية. فقد قسم المشتغلون العرب بعالم الاجتماع أنفسهم إلى قبائل اتخذت، أسماء

ومسميات مختلفة (فهناك النظريون والتطبيقيون، وهناك الماركسيون والوظيفيون، وهناك أتباع المدرسة الفرنسية وأتباع المدرسة الإنجليزية أو الأمريكية أو السوفياتية .. الخ) وكل قبيلة سوسيولوجية جرى تقسيمها إلى عشائر (وظيفيون، ووظيفيون جدد، وماركسيون جدد .. الخ) وجرى تقسيم كل عشيرة إلى بطون وحتى أفخاذ. لقد أصبحت البداوة أفيون علماء الاجتماع العرب " (16).
ويتحدث عبد الباسط عبد المعطي عن مجتمع رجال الاجتماع من الداخل من زاوية أخرى فيقول:
"هـنـاك جـمـاعــــات مصلحة وجماعات ضغط على مستوى مؤسسة عالم الاجتماع، هي جماعات تكاد تقوم بالـمـمـارســــات والضغوط التي تأتيها الطبقات المسيطرة داخل البنى الاجتماعية لكنها تأتيها على مستوى الـعـمــــــل الرسمي. هناك باحثون جمعوا في أيديهم خيوطاً كثيرة مؤثرة في مسيرة العلم: التدريس، الإشــــراف عـلـى الـرســائـل الجامعية، الترقيات، السلطات الإدارية والتنفيذية، اللجان الحكومية، العمل في البحــوث الأجنبية ... الـخ وبـالـتـالي ركزوا كثيراً على مزيد من الكسب أعلى من غيرهم فأسهموا فـي خـلـل التوزيع على مستوى المجتمع وعلى مستوى مؤسسة العلم" (17).
هذا هو واقع عـلــم الاجتماع وواقع المشتغلين به بعد ما يقارب من ثلاث وثمانين سنة من دخوله إلى بلادنا وإعلانه انقطاعه عن الإسلام.
علم هامشي هزيل لا يـرعــــاه ولا يحس به إلا أتباعه ومريدوه وأصحاب المصالح الحيوية فيه، لم يساهم في صياغة مشكـلة واحدة ولا تفسيرها ولا في اقتراح حل لها. طالب المعرفة عن واقع المجتمع يجدها في أي كـتـابــات أخــــرى إلا كتابات علم الاجتماع التي تتميز بالتخلف والسوء والخلط والاضطراب والنقل عن مجـتـمـعــات أخرى. رجال بلا مصداقية وبلا فاعلية وما هم إلا جماعات مصالح وشلل متصارعة متحاربة.
نحن ما تجنينا عليهم، وإنما هذا هو نص عباراتهم كتبوها بأيـديـهــم وصاغوها بأنفسهم، وهم الذين قالوا واعترفوا (بأن بلادنا ليست في حاجة إلى علماء اجتماع).
"يتبع"

المصادر:

1-- محمـد عـزت حجـازي، الأزمـة الـراهنة لعلم الاجتماع في الوطن العربي، (نحو علم اجتماع عربي) ص 30.
2 - سالم ساري، المرجع السابق ص 185 - 186.
3 - سالم ساري (ندوة نحو علم اجتماع عربي - أبو ظبي) المنشورة في (نحو علم اجتماع عربي) ص 388

4 - محمد عزت حجازي، المرجع السابق ص 13.
5 - سعد الدين إبراهيم، علم الاجتماع وقضايا الإنسان العربي (نحو علم اجتماع عربي) ص 349
6 - سعد الدين إبراهيم، تأمل الآفاق المستقبلية .. (نحو علم اجتماع عربي) ص 349.
7 - المرجع السابق ص 356.
8 - عبد الوهاب بو حديبة (نحو علم اجتماع عربي) ص 388.
9 - سعد الدين إبراهيم، تأمل الآفاق المستقبلية، .. (نحو علم اجتماع عربي) ص 347 - 348.
10 - محمد عزت حجازي، المرجع السابق ص 35.
11 - محمد الجوهري، الكتاب السنوي لعلم الاجتماع، العدد الأول ص 11.
12 - محمد الجوهري، المرجع السابق، العدد الخامس أكتوبر 1983.
13 - عبد الباسط عبد المعطي، في استشراف مستقبل علم الاجتماع (نحو علم اجتماع عربي) ص 370 - 371.
14 - سعد الدين إبراهيم، تأمل الآفاق المستقبلية .. ص 346.
l5 - محمد عزت حجازي، المرجع السابق ص 36.
16 - سعد الدين إبراهيم، تأمل الآفاق المستقبلية .. ص 346 - 347.
17 - عبد الباسط عبد المعطي، في استشراف ... ص 371.

خواطر في الدعوة

مَنْ لهذه المنابر (2)

محمد العبدة

مرة ثانية نعود للحديث عن خـطـبــة الجمعة، هذا المنبر الأسبوعي ذو الأهمية البالغة في توجيه جماهير الأمة ورفع مستواها الإيـمـــاني والعلمي. لقد أهمل غالب الخطباء الإعداد الجيد وأهملوا معرفة ما يقال وما لا يقال، ومـا هي أوجه النقص عند من يصلي عنده، هل عندهم نقص فهم العبودية التامة لله أو نقص فـي الـتعاطف مع أمور المسلمين في العالم، أو غير ذلك ويحاول سد هذا النقص.

قـلـمـــا رأيـت خطيباً في البلاد التي فشا فيها الجهل بتوحيد العبودية يتكلم وبقوة ويقرع أسماع المصلـيـن بالآيات القرآنية وبالأحاديث النبوية ؛ ويفصل لهم أقوال العلماء الكبار في هذا الموضوع.

استمعت في الآونــة الأخيرة إلى أحد الخطباء وكان يدعو الناس إلى الالتزام بالإسلام سلوكاً وأخلاقاً، وقال لهم في غمرة الحماسة: نحـن لـيس لنا دنيا، يئسنا من الحصول على شيء من الدنيا، أفلا يكون ديننا صحيحاً ...!؟
تعجبت من هذا الفهم السقيم وكـيـف يـلــق الكلام على عواهنه، وكأن الإسلام يفصل بين الدين والدنيا ولم يدر الأخ الخطيب أننا لا نـسـتـطـيع الاحتفاظ بديننا على الوجه الأكمل إلا بإتقان بعض دنيانا، وهل يقبل الإنسان منك وعـظــاً وهو جائع، وهل يكون دين المسلم قوياً وهو يعاني القهر أمام الأعداء.
لا يستشير الأخ الخطيب إخوانه في موضوع الخطبة، ولا يستشير أهل الرأي والحصافة من جـمـهــــور الـمـصـلين عنده، ولا يقرأ كثيراً في الموضوع الذي سيتكلم عنه ؛ فكيف يؤثر في السامعين؟
إن بـعــض الـمــوضــوعـــات لابد أن تطرح وترسخ في قلوب وعقول المصلين على اخــتـلاف طبقاتهم، وذلك بالحديث عنها لعدة خطب متوالية ؛ مثل مفهوم العبودية لله،والاستسلام لنصوص الوحيين: القرآن والسنة، وتعظيم السنة، وتعظيم الصحابة واحترام الأجــيـــال الـمـفضلة، وبيان محاسن الإسلام وفضائله، وذكر سيرة الرسول -صلى الله عليه وسلم- في ســلــمــه وحربه، وإبداء الرأي الشرعي فيما يجدُّ من أحداث،وبث روح الأخوة والتعاون ونبذ الـفـرقــة والخلاف ... إلى غير ذلك من الموضوعات التي ليس مجال تفصيلها في هذا الخاطرة، وإنمــــا قصدنا الذي نريد الوصول إليه هو استشعار المسؤولية الملقاة على عاتق العالم والداعية الذي يرقى المنابر ليتكلم باسم الإسلام وفي بيت من بيوت الله.

لماذا نرفض العلمانية

د. محمد محمد بدري

لا شك أن العلمانية - كما عرضنا - لا تستـدعي في حقيقة الأمر كبير جهد لبيان تناقضها مع دين الله (الإسلام) .. فـهـي مــــن ذلـك النوع من الاتجاهات والأفكار التي قال عنها علماؤنا قديماً: إن تصوره وحده كاف في الرد عليه .. (1).
والإسلام والعلمانية طريقان متباينان، ومـنـهـجـــان متغايران .. طريقان لا يلتقيان ولا تقام بينهم قنطـرة اتصال .. واختيار أحدهما هو رفض لـلآخر .. ومن اختار طريق الإسلام .. فلابد له من رفض العلمانية ..
هــذه بديهية من البديهيات التي يعد إدراكها - فيما نحسب - نقطة الانطلاق الصحيحة لتغيير واقــع الأمـــة الإسلامية،.. ويعد غيابها السبب الأول لبقاء هذه الأمة ألعوبة في يد العلمانيين يجرُّونها إلى الهلاك بكل مهلكة من القول والعمل، ويزيدونها غياً كلما اتبعتهم في طريق الغيّ .. طريق العلمانية ..

ولأن إدراك هذه البديهـــة على هذا القدر من الأهمية، فل بد من التفصيل فنقول: نحن نرفض العلمانية لأنها:

1 - تحِل ما حرّم الله:

"إذا كانـت الـشــريعة مُلْزِمة من حيث المبدأ، فإن داخلها أحكاماً ثابتة لا تقبل التغيير، وأحكام عامة ثابتة فـي ذاتـهـا، ولكنها تقبل أن تدخل تحتها متغيرات ومن بين الثوابت التي لا تقبل التغيير ولا يدخــل تـحـتـهـــا متغيرات .. أحكام العبادات كلها، والحدود وعلاقات الجنسين .." (2).

فماذا فعلت العلمانية بهذه الثوابت ؟

إن الأنـظـمـــة العلمانية تبيح الزنا برضا الطرفين، والمتشدد منها يشترط موافقة الزوج أو الزوجة .. والكثير منها يبيح اللواط للبالغين .. وكلها يبيح الخمر والخنزير.

فأما الزنا برضـا الطرفين فنجد مثلاً أن قانون العقوبات في مصر والعراق يؤكد على أن الزنا إذا وقع برضا الطرفين وهما غير متزوجين وسنهما فوق الثامنة عشرة فلا شيء عليهما، وإن كانا متزوجين فلا عقوبة عليهما ما لم يرفع أحد الزوجين دعوى ضد الزوج الخائن .. (3). والأفعــال التي يحرّمها قانون العلمانية في جرائم العرض، إنما يحرمها لكونها تشكل اعتداء على الحرية الجنسية فحسب، وليس باعتبارها أمراً يغضب الله ويحرّمه الدين،.. ولذلك فإن الدعـــوى الجنائية في جريمة الزنا مثلاً لا تتحرك إلا بناء على شكوى الزوج، وللزوج الحق في التـنــــازل عن الشكوى بعد تقديمها، وبالتالي تنقضي الدعوى الجنائية، وتوقف إجراءات التحقيق .. بل للزوج حق وقف تنفيذ العقوبة !!

وهـكـذا تبيح العلمانية الزنا، وتهيئ له الفرص، وتعد له المؤسسات، وتقيم له الحفلات في الملاهي والمسارح ..

.. وأما الربا فهو عماد الاقـتـصـــاد العلماني، تؤسس عليه البنوك، وتقدم به القروض بل ويدخل الناس فيه كرهاً .. ومن شـــاء فـلـيـراجـــع المواد 226 - 233 من القانون المدني المصري، والتي تنص على الفوائد والقواعد المتعلقة بـهـــا، تلـك الـمــواد التي تحِل بها العلمانية ما حرّمه الله سبحانه بقوله عز وجل:

((يَـــــا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ، فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ورسوله..)) [البقرة:278-279]

وهذه الآيــات نزلت في أهل الطائف لما دخلوا الإسلام والتزموا الصلاة والصيام، وكانوا لا يمـتـنعون عن الربا فبين الله أنهم محاربون له ولرسوله إذا لم ينتهوا عن الربا .. فإذا كان هـــؤلاء محاربين لله ولرسوله فكيف بمن يقيمون للربا بنوكاً، ويعطون للتعامل به الشرعية الكاملة ..؟

... وأما الخمر فإن النظم العلمانية تبيح شربها، وتفتح المحلات لبيعها والتجارة بـهــــــا، وتجعلها مالاً متقوماً يحرم إهداره، بل تنشئ لإنتاج الخمور المصانع وتعطي على الاجتهاد في إنتاجها جوائز للإنتاج !!
وهـكــــذا فإن العلمانية تحل شرب الخمر وبيعها وعصرها .. فتحل ما حرم الله .. وتحرّم إهدارها والإنكار على شاربها .. فتحرم ما أحل الله ..
فالعلمانية تحل ما حرّم الله، وتحرّم ما أحل الله .. وليس هذا في الزنا والربا والخمر فقط، أو في الحدود والتعزيرات فقط، أو في مادة أو أكثر من مواد القانون الوضعي العلماني .. بل إن قضية تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله هي قضية النظام العلماني بأكمله، وبجميع جوانبه المختلفة ..
ولما كان تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله .. كفراً لمن فعله، ومَنَ قَبِله ؛ فلا بد لنا لنبقَى مسلمين من رفض هذا الكفر .. ورفض العلمانية التي تقوم عليه.
ونحن نرفض العلمانية لأنها:

2 - كفر بَواح:

العلمانية كما قلنا هي قيام الحياة على غير الدين، أو فصل الدين عن الحياة، وهذا يعني بداهة الحكم بغير ما أنزل الله، وتحكيم غير شريعته سبحانه، وقبول الحكم والتشريع من غير الله .. ولذلك فإن العلمانية "هجر لأحكام الله بلا استثناء، وإيثار أحكام غير حكمه في كتابه وسنة نبيه، وتعطيل لكل ما في الشريعة. بل لقد بلغ الأمر مبلغ الاحتجاج على تعطيل حكم الله وتفضيل أحكام القانون الوضعي على أحكام الله المنزلة .. وادعاء الـمحتجين لـذلك بأن أحكام الـشريعة إنـما نـزلت لـزمان وعلل وأسباب انقطعت فسقطت الأحكام كلها بانقضائها" (4).
وكان من نتيجة ذلك أن أصبحت القوانين والأحكام التي تعلو أغلب ديار الإسلام هي قوانين "تخالف الإسلام مخالفة جوهرية في كثير من أصولها وفروعها، بل إن في بعضها ما ينقض الإسلام ويهدمه، .. حتى لو كان في بعضها ما لا يخالف الإسلام فإن من وضعها حين وضعها لم ينظر إلى موافقتها للإسلام أو مخالفتها، إنما نظر إلى موافقتها لقوانين أوروبا ولمبادئها وقواعدها وجعلها هي الأصل الذي يرجع إليه" (5) ..
... وقد وضع الإمام الشافعي قاعدة جليلة دقيقة في نحو هذا، ولكنه لم يضعها في الذين يشرعون القوانين من مصادر غير إسلامية، فقد كانت بلاد المسلمين إذ ذاك بريئة من هذا العار، ولكنه وضعها في المجتهدين العلماء من المسلمين الذين يستنبطون الأحكام قبل أن يتثبتوا مما ورد في الكتاب والسنة، ويقيسون ويجتهدون برأيهم على غير أساس صحيح، حتى لو وافق الصواب حيث قال: "ومن تكلف ما جهل، وما لم تثبت له معرفته، كانت موافقته للصواب - إن وافقه من حيث لا يعرفه - غير محمودة والله أعلم

وكان بخطئه غير معذور إذا نطق فيما لا يحيط علمه بالفرق بين الخطأ والصواب فيه" (6).
وإذا كان هذا هو حكم المجتهد في الفقه الإسلامي على غير أساس من معرفة، وعن غير تثبت من أدلة الكتاب والسنة حتى ولو وافق الصواب .. فلا شك أن هؤلاء الذين يشرّعون من دون الله، مخطئون إذا أصابوا، مجرمون إذا أخطأوا، لأنهم أصابوا من غير طريق الصواب، إذ لم يضعوا الكتاب والسنة نصب أعينهم، بل أعرضوا عنها ابتغاء مرضاة غير الله ... بل إن هؤلاء الذين يشرعون من دون الله قد وقعوا في نوع من أنواع الكفر الأكبر وهو كفر التشريع من دون الله، قال تعالى:
((أَفَحُكْمَ الجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ)) [المائدة: 50]
يقول ابن كثير -رحمه الله- عند تفسير هذه الآية:"ينكر تعالى على من خرج عن حكمه المشتمل على كل خير ، الناهي عن كل شر، وعَدَلَ إلى ما سواه من الآراء والأهواء التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكيز خان الذي وضع لهم الياسق، وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى، من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه، فصارت في بنيه شرعاً متبعاً يقدمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- ومن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله فلا يحكّم سواه في قليل ولا كثير" (7).
أرأيت - أخي المسلم - هذا الوصف القوي من الحافظ ابن كثير في القرن الثامن لذلك القانون الوضعي الذي وضعه عدو الإسلام جنكيز خان ؟ ألا ترى أن هذا الوصف ينطبق على القانون الوضعي الذي يضعه العلمانيون الذين يشرعون للناس من دون الله ؟ إلا في وصف واحد، وهو أن الشريعة الإسلامية كانت عند جنكيز خان مصدراً مهماً لقانونه ؛ بينما هي عند العلمانيين مصدراً احتياطياً من الدرجة الثالثة.
وإذا تبين هذا فإننا نقول بما قاله الشيخ محمد بن إبراهيم - مفتي الديار السعودية - رحمه الله-: إن من الكفر الأكـبر المستبين تنزيل القانـون اللعين منـزلة ما نزل به الروح الأمين على قلب محمد -صلى الله عليه وسلم- ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين في الحكم به بين العالمين والرد إليه عند تنازع المتنازعين مناقضة ومعاندة لقول الله عز وجل:
((فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ؛ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً)) [النساء 59].

فإنه لا يجتمع التحاكم إلى غير ما جاء به النبي -صلى الله عليه وسلم- مع الإيمان في قلب عبد أصلاً، بل أحدهما ينافي الآخر ... فهذه المحاكم الآن في كثير من أمصار المسلمين مهيأة مكملة، مفتوحة الأبواب، والناس إليها أسراب، يحكم حكامها بينهم بما يخالف السنة والكتاب من أحكام ذلك القانون، وتلزمهم به وتقرهم عليه وتحتمه عليهم. فأي كفر فوق هذا الكفر، وأي مناقضة للشهادة بأن محمداً رسول الله بعد هذه المناقضة (8).

.. إن ما جد في حياة المسلمين من تنحية شريعة الله واستبدالها بالقوانين الوضعية البشرية القاصرة، ورمي شريعة الله بالرجعية والتخلف وعدم مواكبة التقدم الحضاري والعصر المتطور .. إن هذا في حقيقته ردة جديدة على حياة المسلمين .. (9).

وهذا ما قاله الشيخ عبد العزيز بن باز في معرض رده على القوميين حيث قال:

.. الوجه الرابع من الوجوه الدالة على بطلان الدعوة إلى القومية العربية أن يقال: إن الدعوة إليها والتكتل حول رايتها يفضي بالمجتمع ولابد إلى رفض حكم القرآن، لأن القوميين غير المسلمين لن يرضوا تحكيم القرآن فيوجب ذلك لزعماء القومية أن يتخذوا أحكاماً وضعية تخالف حكم القرآن حتى يستوي مجتمع القومية في تلك الأحكام، وقد صرح الكثير منهم بذلك كما سلف وهذا هو الفساد العظيم، والكفر المستبين والردة السافرة(10).

وكيف لا وهذه الأحكام الوضعية تحل ما حرم الله، وتحرم ما أحل الله، وتبيح انتهاك الأعراض وإفساد العقول، وتهلك الحرث والنسل حتى أصبحت المادة القانونية (إذا زنت البكر برضاها فلا شيء عليها) أحْفَظ لأمن المجتمع عند هؤلاء العلمانيين من قول الله عز وجل:

((الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلاَ تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ، إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ..)) [النور 2]

وأصبحت تصاريح الخمارات والملاهي والبنوك الربوية أصلح للمجتمع - عند العلمانيين - من الأخذ بقول الله سبحانه وتعالى:

((إِنَّمَا الخَمْرُ وَالمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)) [المائدة 90].

وقوله عز وجل:

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ، فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ورسوله..)) [البقرة 278 - 279]

إن الأمر في هذه القوانين الوضعية واضح وضوح الشمس (هي كفر بواح لا خفاء فيه ولا مداورة ..)(11)، وليس هذه رأياً لنا لنبديه، أو رأياً لعالم أو مفسر أو مجتهد من الفقهاء ننقل عنه، إنما هو النص الذي لا مجال فيه للتأويل، والحكم المعلوم من الدين بالضرورة .. قال تعالى:

((وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ، فَأُوْلَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ ..)) [المائدة 144]
فالعلمانية التي تحـكم بغـير ما أنزل الله ليسـت معـصية، بل هي كفـر بواح ... وقبول الكفر والرضا به كفر ... ولذلك فلا بد من رفض العلمانية لنبقى في دين الله، ونحقق لأنفسنا صفة الإسلام ....
ونحن نرفض العلمانية لأنها:

3 - تفتقد الشرعية:

إن أكثر البلاد الإسلامية لا تحكم بشريعة الله .. ولكن يحكمها أناس يحملون أسماء إسلامية، ويستعرضون أنفسهم بين الحين والحين في صلاة أو عمرة أو حج، فتتوهم الجماهير أن لهم (شرعية)، وهم لا يحكمون بما أنزل الله (12) .. فهل الحاكم إذا أبطل شريعة الله كاملة، واستعاض عنها بالشرائع الجاهلية .. هل تكون له شرعية ؟ وهل يكون له على الرعية حق السمع والطاعة ؟
.. بادئ ذي بدء نقول أنه من المتفق عليه بين العلماء (أن الإمام ما دام قائماً بواجباته الملقاة على عاتقه، مالكاً القدرة على الاستمرار في تدبير شئون رعيته عادلاً بينهم، فإن له على الرعية حق السمع والطاعة..)(13).
ولكن هذا الحق في السمع والطاعة يكون في حدود طاعته هو لله ورسوله، فإن عطّل شرع الله، فقد خرج عن طاعة الله والرسول ولم تصبح له طاعة على الرعية .. قال تعالى:
((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً)) [النساء 58 - 59]
"وظاهر من البناء اللغوي للآية أن الطاعة لله مطلقة، وكذلك الطاعة للرسول - صلى الله عليه وسلم - .. ولكن ليست كذلك الطاعة لأولي الأمر .. ولو أن الله تعالى قال: أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأطيعوا أولي الأمر منكم لوجبت طاعته مطلقاً كطاعة الله والرسول، ولكن الله -جل شأنه- لم يقل ذلك، وإنما عطف طاعة أولي الأمر على طاعة الله والرسول بدون تكرار الأمر (أطيعوا)، لتظل طاعتهم مقرونة دائماً بحدود ما أنزل الله"(14). فشرط الطاعة أن يكون ولي الأمر (منكم) أي من الذين امنوا، ولكي يكونوا كذلك فلابد أن يرد الأمر عند التنازع إلى الله (أي كتاب الله)، وإلى الرسول (أي سنة الرسول - صلى الله عليه وسلم- ..) (15)
وقد أكد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هذا المعنى فقال:»اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة ما أقام فيكم كتاب الله« رواه البخاري. وقال -صلى الله عليه وسلم-: »إن أمر عليكم عبد مجدع - أو قال أسود - يقودكم بكتاب الله، فاسمعوا وأطيعوا« رواه مسلم. فهذه الأحاديث واضحة الدلالة على أنه يشترط للسمع والطاعة أن يقود الإمام الرعية بكتاب الله، أما إذا لم يُحكّم فيهم شرع الله، فهذا لا سمع له ولا طاعة،

وهذا يقتضي عزله، وهذا في صور الحكم بغير ما أنزل الله المفسقة، أما المكفرة فهي توجب عزله ولو بالمقاتلة. (16) "... فمن أجاز اتباع شريعة غير شريعة الإسلام وجب عزله، وانحلت بيعته، وحرمت طاعته، لأنه في هذه الحال يستحق وصف الكفر" (17).
والكفر هو أعظم الأسباب الموجبة للعزل، وبه يخلع الإمام عن تدبير أمور المسلمين وقد انعقد إجماع العلماء على أن الإمامة لا تنعقد لكافر، وعلى أنه إذا طرأ عليه كفر وتغيير للشرع أو بدعة خرج عن حكم الولاية وسقطت طاعته (18).
وبناء على ذلك فإن وليّ الأمر الذي يتصرف في شريعة الله بالإبطال أو التعديل أو الاستبدال ... لا تكون له شرعية، لأنه فقد شرط توليته الذي يعطيه شرعية تولي الأمر وهو تطبيق شريعة الله، أي سياسة الدنيا بالدين.
وإذن فالحكام الذين يسوسون الدنيا بغير الدين، ويقيمون منهاج الحكم على المبدأ العلماني - فصل الدين عن الدولة - .. هؤلاء الحكام ليس لهم شرعية، ولا تجب على الرعية طاعتهم، بل الواجب على المسلم معاداتهم وعدم مناصرتهم بقول أو فعل ... هذا من ناحية شرعية الحاكم .. أما من ناحية شرعية الوضع، أو ما يمكن أن نطلق عليه شرعية النظام فنقول:
".. يعتقد كثير من الناس أن الأوضاع القائمة في معظم أرجاء العالم (الإسلامي) هي أوضاع إسلامية، ولكنها ينقصها تكملة هي تحكيم شريعة الله .. وفي الحقيقة إن هذا الفهم غير صحيح، فتحكيم الشريعة ليس تكملة لأصل إسلامي موجود بالفعل، ولكنه تأسيس لذلك الأصل - بمعنى أن الأوضاع لا تكون إسلامية إلا إذا قامت على شريعة الله،.. قال تعالى:
((فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ، ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً..)) [النساء65] (19).
فأول صفات الدولة الإسلامية التي تجب طاعتها وتحرم معاداتها هو أن يكون الحكم الحقيقي فيها من حيث التشريع والتكوين لله وحده .. وأن لا يكون فيها قانون خاص أو عام يخالف الكتاب والسنة، وأن لا يصدر أي أمر إداري فيها يخالف التشريع الإلهي .. وأن لا ترتكز الدولة في قيامها على أساس إقليمي أو عرقي..(20) ذلك أن الدولة الإسلامية تقوم على الاجتماع على الإسلام والانتساب للشرع، بمعنى أنها ترجع إلى أصول الإسلام وليس إلى أصول الكفر مثل فصل الدين عن الدولة، أو نعرات القومية ..
فإذا قام نظام دولة على مبدأ إلغاء الشريعة الإسلامـيـة والإقرار بحق التشريع المطلق لبشر من دون الله، والتحاكم في الدماء والأموال والأعراض إلى غير ما أنزل الله، كان هذا النظام باطلاً، ولا تجب طاعته ..
وهذا هو شأن العلمانية التي تقوم على مبدأ فصل الدين عن الدولة، ولذلك "فأنظمة الحكم القائمة الآن في العالم الإسلامي، أنظمة علمانية مقتبسة من

النظم الغربية القائمة على مبدأ فـصــــــــل الدين عن الدولة .. وهذا المبدأ يعتبر خروجاً صريحاً على مبدأ معلوم من الدين بالـضــرورة، وبالنصوص القطعية في الكتاب والسنة وإجماع العلماء كافة، وهو عموم رسالة الإســلام لأمــــــور الدين وشؤون الحياة، وأن الإسلام منهاج حياة كامل ينظم سائر شؤون المسلمين في دنياهم .."(21)

... إن انعدام شرعـيــة الأنظمة العلمانية التي تقوم على فصل الدين عن الدولة، والتحاكم إلى إرادة الأمة بدلاً مـــن الكتاب والسنة ... إن انعدام شرعية هذه الأنظمة هو بديهية من البديهيات .. وموقف المسلم منها يتحدد في عبارة واحدة ... إنه يرفض هذه الأنظمة ... ويرفض الاعتراف لها بأي شرعية.

"يتبع"

المصادر :

1 - العلمانية - سفر الحوالي - ص 669.
2 - حول تطبيق الشريعة - محمد قطب - ص 62.
3 - راجع قانون العقوبات المصري - المواد 267 - 279، والعراقي - المواد 232 - 240.
4 - عمدة التفسير - أحمد شاكر - 4/ 157.
5 - مسند الإمام أحمد - تعليق أحمد محمد شاكر 6/ 303
6 - المصدر السابق.
7- تفسير ابن كثير.
8 - تحكيم القوانين - الشيخ محمد بن إبراهيم - ص 5، 6، 10.
9 - الولاء والبراء - محمد بن سعيد القحطاني - ص 79 بتصرف.
10 - نقد القومية العربية - عبد العزيز بن باز - ص 50.
11 - عمدة التفسير - أحمد محمد شاكر 4/ 172
12 - الجهاد الأفغاني ودلالاته - محمد قطب - ص 34.
13- حول تطبيق الشريعة - محمد قطب - ص 34.
14 - كما فسره بذلك مجاهد وغيره من السلف - انظر تفسير ابن كثير 2/ 304.
15 - حول تطبيق الشريعة - محمد قطب - ص 34.
16- الإمامة العظمى - عبد الله بن عمر الدميجي - ص 473.
17- مختصر الفتاوى المصرية - ابن تيمية - ص 507.
18- صحيح مسلم بشرح النووي 3/ 229
19 - الجهاد الأفغاني ودلالاته - محمد قطب - ص 41.
20 - مؤتمر كراتشي المنعقد في الفترة من 12 - 15 ربيع الآخر 1370 هـ .
21- الشهادة - الشيخ صلاح أبو إسماعيل - ص 26.

الارتباط الوثيق بين العبادة والأخلاق

محمد الناصر

أبرز السمات الأخلاقية للمجتمع المسلم ذلك الارتباط الوثيق بين العبادة والأخلاق، إذ أن العبادة تزكي نفس صاحبها وتوجه سلوكه توجيهاً شفافاً متورعاً عن الحرمات، وتهذب أخلاقه وتقومها باستمرار فالصلاة مثلاً، تنهى عن الفحشاء والمنكر، أو هكذا ينبغي أن تكون، قال تعالى:
((وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ)) [العنكبوت 45]
ويقول جل من قال:((فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ، الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ، وَيَمْنَعُونَ المَاعُونَ)) [الماعون:4-7].
إن هؤلاء لو كانوا يقيمون الصلاة حقاً لله تعالى، ما منعوا العون عن عباده، وهذا هو المحك الحقيقي للعبادة الصادقة المقبولة عند الله، وهذا هو الرياء الذي يترك الأعمال خواء ويصيرها هباء (1).
والصيام جنة يمتنع فيها المسلم عن الطعام والشراب إلى جانب تقوى المشاعر وانطلاقة الروح.
قال -عليه الصلاة والسلام-:»من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشراب« رواه البخاري. فهذه النصوص توضح لنا مدى اهتمام الإسلام بتهذيب النفس المؤمنة وتخليصها من أدرانها، خلال قيامها بالشعائر التعبدية، ومن ثم توجيه السلوك ضمن هذه القيم.
والزكاة ليست دفعاً للمال فقط وإنما هي تطهير المال والنفس. قال تعالى:
((خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا)) [التوبة 102]
ومن أجل ذلك وسع النبي -صلى الله عليه وسلم- في دلالة كلمة الصدقة التي ينبغي أن يبذلها المسلم فقال: »تبسمك في وجه أخيك صدقة، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة، وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة، وإماطتك الأذى والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة ..« رواه البخاري.
وقل مثل هذا في سائر الشعائر والعبادات، إذ أن علاقة الأخلاق بالعبادة علاقة وطيدة، فقد لا تنفع المرء صلاة ولا زكاة أو صيام يوم القيامة، إن كان من المفسدين المعتدين على الناس. سأل الرسول -صلى الله عليه وسلم- يوماً أصحابه فقال: »أتدرون من المفلس، قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام، ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا، وأكل مال هذا وسفك دم هذا، وضرب هذا،

فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار« رواه مسلم.
ومن هنا جاء الحديث الشريف: »المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هاجر ما حرم الله« في رواية: »والمهاجر من هاجر ما نهى الله عنه« (2).
فهذه العبادات تلتقي كلها عند الغاية التي رسمها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في قوله:»وإنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق«(3).
فإذا لم يستفد المرء من عبادته ما يزكي قلبه وينقي لبه، ويهذب بالله وبالناس صلته فقد هوى (4). ويؤكد ما نقول حول الصلة الوثيقة بين العبادة والسلوك ما جاء في الحديث النبوي الشريف، إذ روي عن أبي هريرة -رضي الله- عنه أن رجلاً قال:»يا رسول الله إن فلانة تكثر من صلاتها وصدقتها وصيامها، غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها، قال -صلى الله عليه وسلم-:هي في النار. قالوا يا رسول الله: إن فلانة تذكر من قلة صيامها وصلاتها، وأنها تتصدق بالأثوار من الأقط ولا تؤذي جيرانها، قال:هي في الجنة« (5).
تؤكد هذه الأحاديث على عدم جدوى العبادة إذا فقدت روحها وفاعليتها في تهذيب نفس صاحبها.
والأخلاق في الإسلام تكليف رباني قبل كل شيء، قال تعالى:((قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ لاَ شَرِيكَ لَهُ)) فإذا كان الصدق تكليفاً ربانياً، والأمانة تكليفاً ربانياً، والوفاء بالوعد تكليفاً ربانياً ... فهل تدخل هذه التكاليف في العبادة أم تعتبر خارجة عنها زائدة عليها؟!. وكيف تكون خارجة عنها أو زائدة عليها، والله سبحانه وتعالى يقرر أنه لم يكلف البشر إلا أن يعبدوه:
((وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ)) [الذاريات 56]. ويؤكد هذا الحديث النبوي الشريف:»لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له« (6).
فإذا خرجت هذه الأخلاق من دائرة العبادة لن تصبح في حس الناس لازمة، وإنما تصبح شيئاً جميلاً إن وجد، فإن لم يوجد فلا بأس. ومن هنا صار لدى الناس إسلام بلا أخلاق .. إسلام لم ينزله الله تعالى، ولم يأمر به، وإنما هو أمر مضاد تماماً .. ومع ذلك يمارسه الناس على أنه: "غاية المراد من رب العباد".
إلا أن الفساد الذي طرأ على مفهوم العبادة وحصرها في الشعائر التعبدية فحسب، وأخرج منها ألواناً كثيرة من المعاملات، كـانـت فـي حس الأجيال الأولى داخلة في مفهوم العبادة الواسع الشامل، باعتبارها سلوكاً إسلامياً مـرتـبـطــا بلا إله إلا الله .. هذا المفهوم الشامل للعبادة انحرف عما كان عليه بسبب الفكر الإرجـــائي الــذي أعـطـــى لهذا الانحراف شرعيته، حين أخرج العمل من مسمى الإيمان ومقتضياته ..

وبسبب الفكر الصوفي المنحرف عن التوازن الإسلامي مما زاد في فساد مفهوم العبادة ..
كل هذا وذاك قد دمر الجوهر الحضاري المتضمن في هذا الدين، والذي كان قوامه السلوك الأخلاقي المرتبط بالعقيدة والمترجم لها في دنيا الواقع.
وبعبارة أخرى، حين صار المسلم لا يجد حرجاً في قلبه أن يكذب وأن يغش أو أن يخون الأمانة، وأن يتهاون في العمل ويخلف العهود ... يكون قد تجرد من أخلاقيات لا إله إلا الله، وتجرد من قيمها الإسلامية والإنسانية.
هذا التخلف في مفهوم العبادة والأخلاق نشأ عنه تخلف حضاري هائل، أخرج هذه الأمة من زمرة المتحضرين، كما أخرجها من ريادة العالم الذي أصبح تائهاً عن منهج الله (7).
وإن هــذه الأمــــــة لا تمكَّن إلا بقدر التزامها بمقتضيات الإيمان والسلوك النظيف الطاهر، والعبادة المؤثرة الخـالـصــــة في مجتمع الفضيلة والعفاف، ذلك المجتمع المعافى من الجهر بالسوء والشرور والذنوب كـمـــــــا أشار إلى ذلك الحديث الصحيح، قال -صلى الله عليه وسلم-:
»كل أمتي معافى إلا المجاهرون، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عـمـلاً ثم يصبح وقـــد ستره الله فيقول: يا فلان عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه ويـصـبــح يكشف ستر الله عنه« (8).
وإنـهـــا لخدمة عظيمة نسديها للأمة، بأن نزيل هذا الغبش عن أعينها، ونضع بين أيديها نماذج الـصـفاء الإيماني، وتمثل مقتضياته في النفوس، مع تحوله إلى أخلاق قويمة وسلوك أصيل.

المصادر:

1 - انظر رسالة في الرياء، ذمه وأثره السيئ: سليم الهلالي ص 45 مكتبة ابن الجوزي 1408 هـ .
2 - صحيح مسلم 2/ 100.
3 - موطأ الإمام مالك: ومسند الأمام أحمد 2/ 381.
4 - انظر: خلق المسلم للغزالي ص 9 - 12.
5 - رواه أحمد والحاكم قال: صحيح الإسناد "الترغيب والترهيب، كتاب البر والصلة 3/ 353".
6 - الجامع الصحيح 2/ 198.
7- انظر واقعنا المعاصر ص 170 - 179 بتصرف واختصار.
8 - أخرجه البخاري 10/ 486 الفتح، ومسلم: بشرح النووي 18/ 19.

معالم في التربية

أترضاه لنفسك

سلطان بن حبيب الخلافي

كان محمد بن واسع يبيع حماراً له، فقال له رجل: أترضاه لي؟ قال: لــــو رضيته لم أبعه (1).

هـــــــذه الحادثة قمة في المعاملة التي تكون بين الإخوان وخاصة الدعاة إلى الله -سبحانه وتعالى-، وهـــذه إشارة من - محمد بن واسع - إلى أنه لا يرض لأخيه إلا ما يرض لنفسه وكذا المعاملة، فـبعض الناس يجب أن يعامله الناس بأحسن الأخلاق وأجلها، وأن يتلطفوا معه في المعاملة وأن يـضعـــوه فـي مـكـانه اللائق به، وفي المقابل تجده لا يهتم في معاملته لإخوانه بالحسنى كما يهتم في أن تكون معاملة غيره له على أحسن حال وأفضل مقال.

قـال ابن عبـاس -رضي الله عنهـما-: "إنــي لأمر على الآية من كتاب الله فأود أن الناس كلهم يعلمون ما أعلم" (2). ولقد جاء معنى مـــا أشرنا إليه من عنوان هذا المقال في حديث عن النبي في أن المؤمن يحب لأخيه ما يحب لـنـفـســه، روى البخاري ومسلم عن أنس -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال:»لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه«(3).

فالمتأمل في هذا الحديث، يجده قاعدة عظيمة تنبع من خلالها كثير من الأخلاق، ولذلك كان كلام النبي -صلى الله عليه وسلم- من جوامع الكلم.

إن من يعامل لناس على أساس أن يحب لهم ما يحب لنفسه تماماً فإنه سيعاملهم حتماً بكل خلق رفيع، لأن هذا هو ما يجب أن يعامله الناس به إذ يحبه لنفسه. ومن هنا يجد نفسه مثلاً مدفوعاً إلى الصبر على أخيه المسلم كلما دعت ظروف التعامل إلى الصبر، لأنه يحب من الناس أن يصبروا عليه، كلما بدر منه ما لا يقبله الناس إلا بصبر.

ويجد المسلم نفسه مدفوعاً إلى العفو والصفح والمسامحة والإغضاء عن الهفوات والسيئات، كلما وجد من إخوانه ما يسوءه من تصرفاتهم معه، لأنه يحب من الناس أن يعاملوه بالصفح والعفو والمسامحة والإغضاء عن الهفوات والسيئات، كلما بدر منه من تصرفات تسوء إخوانه (4). وكذلك أنواع المعاملة من ستر العيوب والنصح سراً وكره الغيبة فهو يحب أن يعامل الناس بما يحب أن يعاملوه به.

ارتباط الحديث بالإيمان :

فالإيمان لا يبلغ حقيقته ونهايته وكماله إلا بعد أن يتحقق مثل هذا الحديث في المسلم، فالإيمان قد ينتفي لانتفاء بعض أركانه وواجباته (5).

ففي رواية خرّجها الإمام أحمد -رحمه الله-: »لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يحب للناس ما يحب لنفسه من الخير« (6). وهي تدل على أن العبد لا يبلغ حقيقة الإيمان وحلاوته ولذته حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الأخلاق والمعاملة الحسنة.

تطبيق هذا الحديث يدخل الجنة ويزحزح عن النار:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: »من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو مؤمن بالله عز وجل ويأتي إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه« (6). فحري بالمسلم الداعية إلى الله أن يستنفره مثل هذا الحديث لأن تكون معاملته حسنة مع إخوانه كما يحب ذلك منهم.

الأسباب التي تمنع من هذا الخلق :

أولاً: الحسد :

يقول ابن رجب -رحمه الله-: وهذا كله إنما يأتي من كمال سلامة الصدر من الغش والغل والحسد (7). فإن الحسد يقتضي أن يكره الحاسد أن يفوقه أحد في خير أو يساويه فيه لأنه يحب أن يمتاز على الناس بفضائله وينفرد عنهم، ورحم الله ابن عباس -رضي الله عنهما- حيث يقول:إني لأمر على الآية من كتاب الله فأود أن الناس كلهم يعلمون ما أعلم منها (8).
وقال الشافعي: وددت أن الناس تعلموا هذا الدين ولم ينسب إلي منه شيء (9). فالحاسد تجده يحب أن يعامله الناس بأحسن المعاملات فيريد منهم خلقاً رفيعاً، وتذللاً، وانبساطاً وعدم تتبع لزلاته على الرغم من أنه قد أشهر سيف المعاملة السيئة، والتكبر، والأنانية، وأخذ بعد فترة يكتب ويدون زلات إخوانه.

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكنَّ عين السخط تبدي المساويا.

والإيمان يقتضي خلاف ذلك وهو أن يشركه المؤمنون كلهم فيما أعطاه الله من الخير من غير أن ينقص عليه منه شيء. والحاسد ليس يحسدك على عيب فيك، ولا على خيانة ظهرت منك، ولكن يحسدك بما ركب فيه من ضد الرضا بالقضاء.
قال العتبي:

أفكر ما ذنبي إليك فلا أرى لنفسي جرماً، غير أنك حاسدُ (10).

فنعوذ بالله من شر حاسد إذا حسد.

ثانياً:الكبر :

قال تعالى:
((تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُواًّ فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً)) (11).
فبطر الحق وغمط الناس واحتقارهم وازدراؤهـــم يجعل المسلم يعامل إخوانه المعاملة السيئة مما يدعو إلى المعاملة بالمثل.
"فمن تواضع لله رفعه" وهذا مـــن سنن الله في عباده، كما أن من استكبر وتعالى على خلق الله أذله الله. فالمستكبر يرفع نفســه فـوق مستوى جلسائه، فيعيش وحده في جوه النفسي المتعاظم، ولا يحب أن يفوقه أحد، وربـمـا يكون ترفعه إلى مكانة ليس هو في الحقيقة أهلاً لها.
وأخيراً إن الناقد البصير قد يجد في واقع الدعاة إلى الله -عز وجل- وما يحدث بينهم من الهجران والقطيعة والمـعــامـلة التي لا تليق بأمثالهم - ولعل

مرجع ذلك إلى عدم التدبر لمثل هذه الأحاديث النبوية التربوية التي تجعل القلوب صافية، والمحبة وافرة، وتجد التعاون بين الدعاة إلى الله -عز وجل- على أحسن حال.

المصادر :

1 - جامع العلوم والحكم ص 112.
2- المرجع السابق ص 115.
3 - فتح الباري 1/ 156.
4 - الأخلاق الإسلامية عبد الغني الميداني ج 1.
5 - جامع العلوم والحكم ص 111.
6 - انظر جامع العلوم.
7 - رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص
8 - جامع العلوم والحكم ص 113.
9 - جامع العلوم والحكم ص 115.
10 - روضة العقلاء.
11 - القصص 83.

البيان الأدبي

خلا لك الجوُّ

شعر د. عبد الرحمن العشماوي

وسوف تُرفع القبابُ
وتهجر البلابلُ الغناءْ
ويُنشد الغرابْ
وسوف يعقد الذبابُ جلسة انتخابْ
وسوف يحدث انقلابْ
وعندها سيكثُرُ الضَّباب
ويدفن المزاهرَ الترابْ
ويبخل السحابْ
وتنتهي صَلابةُ الهضابْ
سمعتُ قائلاً يقول:
يا أيها النيامْ
عليكم السلامْ
فليلكم ما زال ينصب الخيامْ
ولم يزلْ يخيط جبَّةَ الظلامْ
يا أيها النيامْ

عليكم السلامْ
فليلكم ينظِّم المسيرة
ويخلط العجين بالخميرةْ
ويكتب الحكاية المثيرةْ
الرِّيح - وقت القيظِ - يا أحبتي سمومْ
وفي الشتاء زمهريرْ
والناس بين قاعد يريد أن يقومْ
وواقفٍ يريد أنْ يسيرْ
فهل رأيتم بلبلاً في لجةٍ يعومْ
وهل رأيتم سمكاً يطير ؟؟؟
وهل رأيتم عاقلاً تُطربه الهمومْ
وهل رأيتم عاجزاً يُغير ؟!
سمعت قائلاً يقول:
القدسُ - عفوا يا أحبتي -
أقصد "أورشليم"
تشاهد القتيل والجريح واليتيمْ
تعيش تحت وطأة اللئيمْ
وتشتكي من جرحها القديمْ
يا ويلكم.. ما عاد يستثيركم صراخُها الأليم
القدسُ - يا أحبتي - حزينةٌ عليلَةْ
تَبيتُ تحت وطأةِ القنابل المُسيلةْ
واعجباً من حجرٍ يغار حينما يرى نظرتها الكليلَةْ
وأمتي غارقةٌ في لهوها ذليلَةْ !!
سمعت قائلاً يقول:
يا شفةٌ البركان لا تتمتمي
لا تنطقي بلهجة الدُّخَان والحممْ
فأمتي تُدير قهوة الولاءِ للأممْ
وتشرب الحُثالةْ
توزِّع الطحين للأممْ
وتأكل النخالةْ
وأمتي تعلن في وسائل الإعلامْ
رسالة يسمعها الأنامْ
تعلن أنّها تقوم بالرسالةْ
وأنها نموذج البَسالةْ
وأنها لا تقبل العمالةْ

سمعت قائلاً يقول:
يا شفة البركان لا تعبِّري
سيان عندي أن تكوني لوحةً للصمتِ
أن تزمجري
فإنني عرفت موردي ومصدري
وإنني ..
تئنُّ تحت وطأة الجراح أسطري
وإنني ..
سمعت أن تاجراً معلَّقاً بثوبه المعصفَرِ
يبيع تحت جُنح ليله ..
وجه صباحٍ مُسفرِ
يبيع دون رهبةٍ ويشتري
سمعت قائلاً يقول:
يا قلمَ الحقيقةِ احذرِ
قُلْ ما يشاء القومُ أو فقفْ
أما سمعتَ أحرفي تصيح في دفاتري:
يا دولةَ اليهود زمجري
و ز مجري
وقدمي وأخِّري
"يا لك من قُبَّرةٍ بمعمرِ
خلا لكِ الجوُّ فبيضي واصفُري
ونقّري ما شئتِ أن تنقرِّي"
يا قائلَ المقالةِ الجبانْ
نسيتا أن أمتي عظيمة الكيان
وأنها تلوذ بالرحمانْ
وعندها من دينها الأمانْ
يا قائل المقالةِ الجبانْ
مَنْ قال: إن نجمةً تطاول القمر ؟!
وإنَّ نملةً ستكسر الحجرْ ؟!
وإنَّ أجذمَ اليدين يعزف الوترَ ؟!
مَن قال أيها المكابر العنيدْ
إن غباراً يُنزل المطرْ
وإن ريحَ قيظٍ تنعش الشجَرْ
وإنَّ شِدّةَ الحَذَرْ
تنجي من القدرْ

رجاؤنا في الله لن يخيبْ

الأدب مفهوماً ولغة

د. مصطفى بكري السيد

1 - القول والفعل :

"يحاول الشاعر أن يحاكي صوت الفعل، الذي يصوره، في صوت الألفاظ التي ينظمها،فقد يكـثـر مثلاً من حروف الضاد والطاء ليدل على الضرب والطعن وقد يكثر من حروف السين والصاد ليدل على صليل السيوف، أو من حروف الراء ليدل على خرير الماء وهكذا" (1).

هل تنتهي العلاقة بين القول والعمل عند حدود المحاكاة الصوتية ؟

أكبر الظن أن الأمر أبعد من ذلك، إذ كثيراً ما شد سمعي وعقلي تَوَحُّدُ القول بالفعل، فكم سمعت المتكلم من منطقة "نجد" مــن الـعــامـــة كان أو من المثقفين يُعَبِّر عن طلب أحدهما باستدعاء الآخر، فيقول لصاحبه إذا واجه مـشـكـلــة أو مشكلاً : قل بها، أو قل به، كما سمعت مثل هذا الاستعمال من أحد زملائنا المدرسين من بادية الأردن.

وإذا كنت عاجزاً عن تفسير هذا التوحيد بين القول والـعـمـل، فلقد شدنـي ورحت أبحث عن أصوله في تراثنا اللغوي، وكان ابتهاجي عظيماً عندما اسـتـوقـفـــي أثناء مطالعتي في صحيح البخاري هذان الحديثان:

عـــن عائشة -رضي الله عنها- »أن النبي -صلى الله عليه وسلم- أراد أن يعتكف، فلما انصرف إلى المكان الذي أراد أن يعتكف، إذا أخْبِيةً: خِباء عائشةَ، وخِباء حفصةَ، وخِباء زينبَ، فقال:آلبِرَّ تقولونَ بهنَّ ؟ ثم انصرف فلم يعتكف حتى اعتكف عشراَ من شوال« (2).

أما الحديث الثاني فهو:

»عن أبي ذر -رضي الله عنه-، قـــال كنت مع النبي -صلى الله عليه وسلم-، فلما أبصر يعني أُحُداً - قال:

ما أحب أنه تحوّل لي ذهباً يمكث عندي منه دينارٌ فوق ثلاث إلا ديناراً أرصده لِدَيْن. ثم قال:

إن الأكثرين هم الأقلُّون، إلا من قال بالمال هكذا، وهكذا - وأشار أبو شهاب بين يديه وعن يمينه وعن شماله - وقليل ما هم« (3) الحديث.

فاستعمال الفعلين:"تقولون بهن" و"قال بالمال" واضح الدلالة على أن الفـعـــــل يُعَبَّر عنه بالقول.

كـمـــا عــثــرت على شواهد عربية وعالمية يفضي تأملها إلى ردم المسافة القائمة في عقولنا وأعمالنا بين القول والعمل:

يقول الأخطل التغلبي (20 - 92 هـ):

حتى تركتهُمُ مني على مَضَضٍ والقول ينفُذُ ما لا تنفذ الإبَرُ

فقد جعل القول فعلاً بل أفعل من الإبر.

وبقول ليوناردو دافنتشي الإيطالي (1452 - 1519):

"يقتل الفم أكثر من الخنجر !".

ويقول شكسبير (1565 - 1616) على لسان هاملت:

"سأكلمها خناجر، ولن أمس خنجراً" (4).

وربما ذهب بعضهم إلى جعل الفعل فرعاً عن الاسم يقول إمرسون:

"الأفعال هي نوع من الكلمات" (5).

2 - تعريف الأدب :

لم ينجُ عالم الأدب، وبقية أشقائه من فروع العلوم الإنسانية من محاولة الهيمنة لأكثر من طرف على مـفـهـومــه كي يولي وجهه شطر الوجهة التي يرضونها، ولينسجم مع موقعهم الفكري وواقعهم السيــاسي، وربما نجد بعض متلقي الأدب يُقَدِّم صورة معينة للأدب كيما يصاغ على مثالها، وبذلك يفقد الأديب حريته، ويغدو إبداعه معلباً، وأمثال هؤلاء المتلقين يريدون أن تصبح تجربـــــة الإبــداع الــرائع عملية آلية، تخضع لما تخضع له أية عملية إنتاجية من مراعاة شروط العرض والطلب وأذواق المستهلكين!!!

إن تسليع الأدب باسترضاء كل الأطراف، يـئــد الأدب ويـعـزل الأدباء عن دورهم المرجو، ويفقد الأدب ثمرتي المعرفة والمتعة المتمثلين بالصياغة الأدبية الإبداعية. ولقد تحامى كثير من النقاد تعريف الأدب (*) خشية تحديده، أو مخافة الحجر عليه، ولا جناح علينا أن نخالفهم فنقول:

الأدب فعل لغوي / راجح المقدمة: القول والفعل / لأن الأديب يصنع برؤاه وألفاظه ما قد يصنعه الحداد والبناء بالحديد والحجر / (6) يتجسد فيه شكل من أشكال الوعي، وهو صدور عن موقع ثقافي، وإحساس جمالي، وموهبة لم تسقَ بماء واحد، وفي كل الأعمال الأدبية تكون اللغة وسيطاً، بين طرفي الإبداع: الباث والمستقبلين، واللغة في غير الأدب وسيلة وفي الأدب غاية، كما تحمل في بقية العلوم رسالة إبلاغية، أما في الأدب فتحمل دلالة بلاغية، وإذا كنا نقول لكل كاتب في كل علم: ماذا قلت؟ فإننا نضيف للأديب سؤالاً آخر ونقول له: كيف قلت ؟

واللغة في القول الأدبي ليست مجموعة ألفاظ بل مجموعة علاقات، لأن المبدع لا يستعمل اللغة مجرد تركيب، أو إنشاء يحفظ أو يتوارث ويُلقَّن، أو رصفاً قواعدياً للمفردات المعجمية (7) بل هو إبداع يحقق فرادته ورسالته بالصياغة، إنه "إنزال فكرة في مادة / اللغة / وتشكيله على مثالها" (8).

3- كلمة أدب :

أين كان هذا اللفظ مُستكّناً قبل أن يطل علينا محمّلاً بدلالته اللغوية والفكرية ؟ إن الإجابة أكبر من مساحة هذا المقال ولكن سأشير إلى بعض المفاهيم التي تناولت المادة أ/د/ب/ وتطورها.
لابد من الإشارة إلى أن هناك معجمات عربية متخصصة رصدت كلمة/أدب/جذراً لغوياً ومعنى اصطلاحياً مثل:
"كشاف اصطلاحات الفنون - إحصاء العلوم - ومفاتيح العلوم للجرجاني - والكليات للكفوي، وهناك معجمان لمجدي وهبة ومعجم لإبراهيم فتحي" (9).
"كما عرض لكلمة /أدب/ عبد الله العلايلي في معجمه الذي لم يتمه وكتب فيهما خمسة أو ستة أعمدة"(10). وإذا كانت هذه الدراسة قد تأسست في مداخلها على حديثين رواهما البخاري فلا ضير عليها أن تعتمد الحديث الشريف أصلاً في تعريف وتطوُّر كلمة / الأدب /.
أخرج البخاري في صحيحه أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال:»أيما رجل كانت عنده وليدة فعلمها فأحسن تعليمها، وأدبها فأحسن تأديبها، ثم أعتقها وتزوجها فله أجران«.
يقول الدكتور عبد الملك مرتاض المدرس بجامعة وهران الجزائرية معلقاً على هذا الحديث:
"قرن التأديب بالتعليم ليس يعني إلا شيوع ذلك المعنى للأدب بهذا المفهوم في ذلك العهد المبكر، وقد استعمله بهذا المعنى أبو تمام في كتابه (الحماسة) "(11).
ولابد أن نشير ونشيد بجهود ابن خلدون الذي حاول لأول مرة منذ أرسطو أن يضع المهاد لتأسيس علم الأدب، وأن يصوغ نظرية أدبية متكاملة كما يبدو لمتصفح الأوراق الأخيرة من مقدمته.

4 - الأدب واللغة :

ألمحت باختصار / في تعريف الأدب / إلى العلاقة بينه وبين اللغة، وأحاول الآن بسط القول بعض البسط في هذا الأمر.
اللغة الأدبية تؤدي جملة من الوظائف المختلفة، غير أن الجمالية هي الوظيفة السائدة، والتي تتحقق معها وبها (أدبية الأدب).
ولا بد من الإشارة هنا بأن اللغة المستعملة في الأدب بحسبانها مقررات ليست مناط الدراسة والتقويم، وإنما تبدأ (أدبية النص) أو (ما يجعل الأدب أدباً) أو ما يميز الأدب أنه من / عندما تتمثل اللغة بالتراكيب والجمل، وهي لغة / معنى المعنى حيث تتكفل الصياغة العلمية بالمعنى أما الصياغة الجمالية هي التي تنتج معنى المعنى وهدفها (جمالي يتعلق بإثارة المتلقي وإشباعه).

يقول أبو حيان التوحيدي:

إن حد الإفهام،والتفهم معروف، وحد البلاغة والخطابة موصوف، وليس ينبغي أن يُكْتَفَى بالإفهام كيف كان، وعلى أي مرجع وقع، والبلاغة زائدة على الإفهام

الجيد بالوزن والسجع والتقفية، والحلية الرائعة وتخير اللفظ، وهذا الفن لخاصة الناس، لأن القصد فيه الإطراب بعد الإفهام"(12).
نحن في حياتنا نستعمل في كثير من المناسبات صيغاً لفظية معينة، ولا نستعمل / معناها / فلا نقول للشارب:
أقدم لك التهاني بشربك بل نقول / هنيئاً / ولا نقول للحاج:
أرجو أن تكون حججت حجاً مبروراً بل تكتفي بقولك / حجاً مبروراً / وفي ذلك يقول سيبويه، ولعلها تكون أول لفتة لبلاغة النحو: "ألا ترى أنك لو قلت طعاماً لك، وشراباً لك، ومالاً لك، تريد معنى: سقياً أو معنى المرفوع الذي فيه معنى الدعاء لم يجز، لأنه لم يستعمل هذا الكلام كما استعمل من قبله، فهذا يدلك ويبصرك أنه ينبغي لك أن تجري هذه الحروف كما أجرت العرب، وأن تعني ما عنوا به" (13).
وهذه اللفتة من سيبويه -رحمه الله- فتحت الباب أمام ظهور مستويين للغة الأدبية:
المستوى الأول: مستوى الصحة.
المستوى الثاني: مستوى الجمالية.
أما صحة النص فينظر فيها إلى اللغة وأسلوب الأداء، من حيث أن اللغة مؤسسة اجتماعية لا سبيل للفرد المبدع أن يحترم قاعدة من قواعدها أو يخالف نظاماً من أنظمتها الفرعية، بل إنه لا يمكن عدّه مبدعاً إلا إذا تمكن من تحقيق المعادلة الصعبة بين صرامة قواعده وحرية إبداعه.
وأما جمالية النص فهي نتاج عبقرية المبدع وحريته في التعامل مع موضوعه وأسلوبه، وبقدر ما لا يكون للأديب الشاعر أو الكاتب من الحرية أمام اللغة كمؤسسة اجتماعية كاملة، بقدر ما يملك الحرية كلها تُجاه الصياغة الجمالية، ومواجهة الإنشاء الفني بالطريقة التي يؤثرها أو تجود بها قريحته.
وقد استقر في ذهن روّاد النحو العربي أنفسهم مثل سيبويه أن للشعر خصوصية في التعامل مع اللغة، فقد ميّز سيبويه في أحد فصول (الكتاب) بين لغة الشعر ولغة الكلام مستعرضاً بعض الجوازات التي تسوغ للشاعر ولا تجوز لغيره، وهو ما كان يتفق مع رأي أستاذه الخليل بن أحمد الفراهيدي (96 - 107 هـ) الذي ينسب إليه هذا القول: "الشعراء أمراء الكلام، يصرفونه أنى شاءوا، وجائز لهم ما لا يجوز لغيرهم من إطلاق المعنى وتقييده، ومن تصريف اللفظ وتعقيده، ومد مقصوره وقصر ممدوده، والجمع بين لغاته، والتفريق بين صفاته، واستخراج ما كلّت الألسن عن وصفه ونعته، والأذهان عن فهمه وإيضاحه، فيقربون البعيد، ويبعدون القرب، ويحتج بهم ولا يحتج عليهم" (14).
ولو تساءلنا عن أسباب التفويض الذي منحه شيخا اللغة للشاعر لما أخطأنا الصواب إذا قلنا إن الإبداع الذي يتحقق للغة على أيدي الشعراء (أدبية النص) يستحق بعض التنازلات لمصلحة الإبداع.

وإذا تحققت للنص أدبيته تحرر من الآنية، وبات أحد معالم الحياة جميلة، فما لا يصدق عليه وصف أدب في كل العصور والأزمان بصورة مطلقة فليس من الأدب في شيء، لأن النص "الذي يحتفظ بكيانه ويثبت وجوده في كل الظروف، هو الأدب القيِّم، أما الأعمال الفنية الموقوتة بزمن معين فإن قيمتها تزول بزوال زمنها، وتموت بموت مقتضياتها، ومن ثم تكون الأسباب التي أكسبتها شعبية وقتية هي نفسها التي تعمل ضد استمرار حياتها" (15).
واللغة الأدبية كانت إحدى الثمار الطيبة لدراسات إعجاز القرآن، فالقرآن الكريم كان خيراً في كل اتجاه، ونعمة في كل وجهة، إن محاولة تفسير إعجازه، وتأويل جماليته أخرجت من الدرس الأدبي كنوزاً رائعة، كانت المادة الخصبة للاتجاهات النقدية، والمقاييس الجمالية، وهكذا كان القرآن وسيظل خيراً عميماً على العربية.
وهكذا لا يكون الأديب أديباً ولا "الشاعر شاعراً لما فكّر فيه وأحسه، ولكنه شاعر لما يقوله من شعر، فعبقريته تكمن في إبداعه اللغوي، أما الحساسية المفرطة فلا تكفي لتكوين شاعر" (16).
ومرة قال الرسام الفرنسي ديجا (1834 - 1917) للشاعر الفرنسي مالارميه (1842 - 1898): "إنني لا أستطيع أن أعبّر عما أريد التعبير عنه، مع أن عقلي يصطخب بالأفكار، فأجابه مالارميه - إن الشعر - يا عزيزي لا يصنع من الأفكار ولكنه يصنع من الألفاظ" (17).
فاللغة الأدبية هي التي شدتنا إلى محفوظـنـــا من الأدب الجميل وجذبتنا إلى تلكم الرؤى التي تعج بالأفكار، وتضج بالحركة، وتموج بالـلـــــون، هي التي صنعت للأدب العربي سمعته، ومن إعادة توزيعها المتفرِّد نُسجت أثواب مجـــده، والشيء نفسه حصل في الأدب الغربي (فاللغة هي التي صنعت / عُطَيْل / قدّم نفسه لـِ(ديــزر مونة) من خلال اللغة، وهي التي قوّضته في النهاية، وهذا في خاتمة المطاف سر عظمة شـكـسـبـيــر الذي لم يفعل شيئاً سوى أنه ترك اللغة تفجِّر طاقاتها، وتصنع الحدث) (18).
ولـكـــن أين يقف مضمون النص وموضوعه من أدبيته ؟ إن النقد الحديث قد تجاوز ثنائية الشكل / المضمون، وأصبح من المتعذر درس كل منهما بمعزل عن الآخر، ما بينهما أكبر من وحدة، وأكثر من اتحاد.
إن الأديـب الـحـــق يجب أن يكون ملتزماً فطرياً وأخلاقياً بمصالح المجتمع الكبرى، وبما يثري إنسانية الإنـســـان وما يرفع عنه من إصر وأغلال، وإذا كنا نجد أدباء لا يرتقون إلى هذا المستوى، ففي كل صــنـعـة مهما كانت نبيلة نجد فئاماً من الناس يستأكلون بمبادئهم ويستطلقون العطايا بقيمهم، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

المصادر:

* - يقول الدكتور عز الدين إسماعيل:

"الأدب هو الشيء المجرد، ما أولانا ألا نتعب أنفسنا في محاولة تعريفه" (الأدب وفنونه ص 24)، ولكن الدكتور أحمد كمال زكي عرّفَه بقوله: "نشاط لغوي يستهدف توليد الحياة التي تحدث متعة جميلة"، (النقد الأدبي أصوله واتجاهاته) ص 76.

1 -- (هموم المثقفين) ط 1 ، 1981 دار الشروق ص 238 - 239 و (قصة عقل) ط 1 ، 1983 دار الشروق ص 154 ومؤلفهما: زكي نجيب محمود.
2 - صحيح البخاري 4/ 277 رقم 2034.
3 - المصدر نفسه 5/ 54 - 55 رقم 2388.
4 -- (شكسبير معاصرنا) ص 280 ترجمة جبرا إبراهيم جبرا.
5 -- (مجلة فصول) ص 115 عدد أكتوبر 1990 م.
6 -- (الفن والحلم والعقل) جبرا إبراهيم جبرا ص 360.
7 -- (حدود النص الأدبي) صدوق نور الدين ص 15.
8 -- (مقدمة في نظرية الأدب) د. عبد المنعم تليمة ص 97.
9 -- (قراءة جديدة لتراثنا النقدي) 1/ 295.
10- المصدر نفسه 1/ 296.
11- المصدر نفسه 1/ 278 - 279.
والدكتور مرتاض أشار إلى مصدر الحديث بقوله: صحيح البخاري 3/ 240.
12-- (المقابسات، للتوحيدي ص 117 تحقيق حسن السندوبي.
13- قراءة جديدة لتراثنا النقدي 2/ 806.
14- المصدر نفسه 1/ 435 - 436.
15- (الأدب وفنونه) د. عز الدين إسماعيل ص 66.
16-- (نظرية البنائية في النقد الأدبي) ص 315 د. صلاح فضل.
17-- (الأدب وفنونه) ص 99.
18-- (الإبداع)، عابد خزندار ص 130.

صورة

بالخـنـا أمـضى شبابَه وغـدا الخـمـرُ شرابَهْ
لم يجد راحةْ قلـــب بين كـأس، وربـابَـه
قـــد دعـونـــاهُ مِراراً والهـدى يـطـرُقُ بابه
لـم يجـْبْ صـوتاً لداعٍ صَـمَـمُ الـقلـب أصابه
أنــا لا أرجـو عـقــابَهُ إنما أرجــو مـآبـــه
فلقـد كـان نَـقـــيـــاً مثلَ ماءٍ من سحابه
لا تَسلْني كيف أمـسى ليس في هــذا غرابه
صاحَبَ الأشرار جهلاً ولـهـم أعـطى رِغابَه
فاحــذَرَنْ يا صاح منه إن في الخير اجتنابه

من يكن للجُرب خِـلاًّ ليس يخلو من إصابه

المسلمون في العالم

مقابلة مع رئيس اللجنة السياسية لجبهة الإنقاذ الجزائرية

زار المنتدى الإسلامي في لندن الأخ الـفـاضــل رابـح كـبـير رئيس اللجنة السياسية بالمكتب التنفيذي المؤقت لجبهة الإنقاذ الإسلامية وكانت فرصة لـعرض أحوال الجبهة الإسلامية، آخر المستجدات على الساحة الجزائرية، ورؤية المسلمين هـناك لواقع الجزائر ومستقبلها. وبـعـد الاستفسار والاطمئنان عن صحة الشيخين عباسي مدني وعلي بلحاج والإخوة الذين لا يزالون في السجون بدأنا هذا الحوار:

* البيان: نريد منكم صورة للوضع الحالي في الجزائر وكيف تقومون هذا الوضع ؟

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله كما أمر والصلاة والسلام على نبيه خير البشر وبعد:

في الحقيقة إن الذي حدث في الجزائر ليس بالأمر الهين، لا شك أن إخواننا سمعوا عما حدث من ضرب للجبهة الإسلامية للإنقاذ، لقد ضربت في قيادتها من مختلف المستويات فبين معتقل وبين من غير وبدّل، وكذلك كثير من أفراد الشعب الجزائري الذين كانوا يعملون مع الجبهة، كانت هجمة شرسة، ولكن من فضل الله -تبارك وتعالى- أن هذه الجبهة فيها أناس مخلصون تابعهم الشعب الجزائري بحب وإخلاص لأنها تمثل العمل في سبيل إقامة دولة الإسلام، فالتوفيق كان بيد الله، ففي الوقت الذي ضربت فيه الجبهة اجتمع ثلة من الشباب، من شباب الجبهة في مدة قياسية، في مدة يومين استطاعوا تجميع أكثر من (45) ولاية من ولايات الوطن التي تعد (48) ولاية، في الأوراس وفي مدينة "باتنة" حيث كان النظام يقول بأن مدينة باتنة ستكون مقبرة الجبهة، وخرجت الجبهة من ذلك اللقاء أقوى وأمتن، ثم حاول النظام إلهاء الناس من خلال دعوته لإقامة حوار بين الحكومة والأحزاب. ولكن الجبهة لم تشارك لأن النظام كان يريد مشاركتها وهي محطمة، وشاركت الأحزاب وقلنا لهم: إن مشاركتكم مجرد لعبة ليس لها أي فائدة، وقد تأكد الجميع من ذلك بعد صدور القوانين الأخيرة، حيث لم تأخذ الحكومة بعين الاعتبار كل ما جرى في ذلك اللقاء. بعد ذلك رفع الحصار. وقبل أن يرفع، لما رأى النظام أن الجبهة غدت قوية رغم كل ما حصل ورغم حالة الحصار، لما رأى ذلك اعتقل الأخ عبد القادر حشاني مسئول مكتب التنفيذ الوطني ظناً منهم أن هذا سيعيد

الجبهة إلى نفس الحالة التي كانت عليها عندما اعتقل الشيخين عباسي مدني وعلي بلحاج فرّج الله عنهما، ولكن الأمر تجاوز تلك المرحلة وأصبحت الجبهة كمؤسسة هامة فيها هياكل مضبوطة ومستقرة، ثم إنها تصفَّت من الدرن الذي كان موجوداً وتم التمحيص والتصفية، وكانوا يظنون أن ندوة البلديات الإسلامية ستتوقف لأنهم يدركون أن تلك الندوة تمثل انطلاقة جديدة وقوية، عندما تجتمع كل بلديات الجبهة (856) بلدية وتجتمع كل المكاتب البلدية والولائية فمعنى هذا أن كل حالة الحصار التي ضربت كانت صفراً، حاولوا منعنا من الندوة دون أي مبرر قانوني (من قوانينهم) ففضحنا ذلك بندوة صحفية، ثم تراجعوا وتمت الندوة وكانت بإذن الله دفعاً قوياً للعمل، وبمجرد رفع الحصار عادت الجبهة كقوة فاعلة في المجتمع، ثم توالت أنشطتها باستمرار وربما كان أكبر هذه الأنشطة تجمعات على مستوى المناطق (الغرب في وهران، والشرق في قسنطينة) وأخيراً جاءت المسيرة التاريخية التي كانت يوم الفاتح من نوفمبر كتعبير عن الوفاء لشهداء الجزائر الذين هم شهداء الإسلام، حيث إن البيان الذي رفعه المجاهدون المسلمون يومها (نوفمبر 1954) كان ينص صراحة على أنهم رفعوا راية الإسلام حتى تقام دولة حرة مستقلة في إطار المبادئ الإسلامية، والذي حصل بعدئذ هو انحراف وتبديل. فالجبهة نظمت هذه المسيرة، وقد حاولت الصحافة الأجنبية وبعض الصحف الوطنية تقزيم هذا الحدث، ولكنها كانت مسيرة ضخمة. وفي الجمعة الماضية نظمنا ستة تجمعات على مستوى الوطن، والعبد الضعيف ذهبت إلى ولاية الشرق وأخي عبد القادر ذهب إلى ولاية الغرب وآخر ذهب إلى ولاية الوسط، وأحب أن أعلمكم أن الشعب الجزائري شعب جاد دوّخ كل أعدائه. هذا وضع الجبهة الآن، وقد غيرت السلطة لهجتها ونظرتها، فحاولت محاورتنا بعد أن اتضح لها أن الجبهة لا يمكن كسرها، وبحمد لله بدأت الأمور بالتحسن، صحف الجبهة عادت للظهور (كانت ممنوعة) اتصلنا بهم وقلنا لهم لماذا تمنعون (الفرقان) من الصدور، فقالوا لأن الفرقان فيها كلام قوي، فقلنا لهم هناك جرائد أخرى فيها كلام قوي ولم تمنع، فرّد الوزير بأن الكلام إذا جاء من الجبهة ليس مثل الذي يأتي من جهة أخرى. وعادت جريدة الفرقان وكذلك جريدة المنقذ في طريقها للعودة بإذن الله وننتظر بأن تسير الأمور نحو الانفراج ولعله يطلق سراح المشايخ إن شاء الله.

* البيان: ذكرتم في حديثكم أن من أهداف بيان الفاتح من نوفمبر قيام دولة مستقلة والسؤال: هل حصل هذا وهل أكثر دول العالم الإسلامي مستقلة فعلاً خاصة إذا ربطنا يبن الواقع الموجود وموقف ميتران عندما قال إنه سيعود لو استولت الجبهة على الحكم؟

حقيقة - أخي الكريم - الجزائر استقلت عام 1962 وكانت تسير نحو الاستقلال في مراحل معينة رغم - الانحراف الذي حصل، ولكن الآن نحن

نسير نحو التبعية يوماً بعد آخر، فالجزائر ترضخ لشروط صندوق النقد الدولي، والنظام أفلس في جميع الميادين، ونحن في ندوة صحفية تساءلنا: من يحكم الجزائر ؟ أصبحت المشكلة مطروحة، هناك تراجع عن كل المكتسبات بما فيها الاستقلال الوطني، فصندوق النقد الدولي يفرض شروطاً قبل رفع أسعار المواد الاستهلاكية وشيئاً فشيئاً يتدخلون في قرارات البلاد، وربما يصل الأمر إلى أشياء لا تحمد عقباها.

* البيان : ما هي العلاقة الآن بينكم وبين الأحزاب الإسلامية وهل هناك تعاطف معكم وهل هناك تنسيق أو تعاون فيما بينكم ؟

في الحقيقة إن المحنة التي جرت لم تكن محنة بقدر ما كانت منحة من الله تبارك وتعالى ((مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ المُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ..)) [آل عمران:179] هذا بالنسبة لوضعنا الداخلي وكذلك بالنسبة لإخواننا فنحن نرى أن العمل مواقف، فعندما ترى أن أخاك مظلوم مقهور ثم تتشفى به فلست أدري أي تعاون يمكن أن يحصل، فربما سمعتم أن بعض الإسلاميين قال بأن الجبهة زجاجة وانكسرت وأمر هؤلاء الناس أصبح مع الشعب الجزائري وليس مع الجبهة، لقد اتصلوا بنا بعد ذلك عندما رأوا أن الجبهة لم تنكسر بإذن الله، فقلنا لهم: إن إشكالياتكم اليوم مع الشعب الجزائري، أقنعوه بمواقفكم، المسألة لا يمكن أن تنسى بمجرد لقاء، يجب أن يكون هناك عمل قوي، الواقع يحمل الناس على التصديق بأنها كانت خطأ وأن الموقف سيتغير إلى الأحسن ؛ وهناك أحزاب كانت مواقفها مشرفة مثل حركة الأمة، ولها صلات بالجبهة الإسلامية، وهناك غيرها.

* البيان: وحزب النهضة ؟

النهضة كذلك وقفت مواقف لا بأس بها وتوجد لنا علاقات معهم، المسؤول عن النهضة في لجنة للدفاع عن المعتقلين السياسيين مع الشيخ سحنون ومسؤول حركة الأمة السيد يوسف بن خدة، هذا الأمر معروف.

* البيان: قضية تنقية الصفوف من الأمور التي تقوي الجبهة ولا شك، هل هناك محاولة للرجوع من قبل الذين خرجوا من الجبهة أو انشقوا عنها ؟

الذين لفظتهم الجبهة في وقت المحنة منهم صنف باع ضميره، وهؤلاء لا كلام عنهم، لقد فصلوا من الجبهة، وهناك من وقف مواقف سلبية جداً واتخذ لقاء "باتنة" فيهم قراراً عندئذ ينظر في شأنهم، وهناك أناس آخرون بقوا في المجلس.

* البيان: ننتقل إلى موضوع الانتخابات، هل ستدخل الجبهة الانتخابات القادمة ؟

موضوع الانتخابات يتعلق بالظروف السياسية، فرغم أن القوانين التي صدرت أخيراً فيها من الظلم الشيء الكثير، ولكنها أقل ظلماً من السابق وهذا شيء مؤكد، إنها فتحت مجالاً للرقابة على الانتخابات وهناك وضع ينبغي أن يسوى،

هناك إشكالات سياسية حصلت في البلد، هؤلاء المعتقلون من الشيوخ وغيرهم، العمال المفصولون، الشهداء والجرحى في الأحداث، هذه مسائل ينبغي أن تسوّى، لقد قلنا: إنه إذا رأينا توجهاً صادقاً في الأجواء السياسية ولو في مرحلة معينة (حتى أصارحكم) وإذا لمسنا أن هناك استعداداً حقيقياً من خلال الممارسة السياسية لا من خلال التصريحات السياسية، لقد قلنا لهم: نحن لا ينفع معنا الكلام، نريد الممارسة الفعلية، وبدأت بعض الأمور تظهر وإن شاء الله يستمر الأمر كذلك فالأمر إذن يتخذه مجلس الشورى في الجبهة الإسلامية، آخذين بعين الاعتبار تطورات الوضع السياسي فإذا قدرنا أنها تؤدي إلى انتخابات حرة ونزيهة تعطى فيها الكلمة للشعب الجزائري فنحن نقبل عندئذ لأننا واثقون أن شعبنا لن يختار غير الإسلام.

* البيان: ولكن باب الترشيح أقفل الآن ؟

بالنسبة لهذا الأمر فالجبهة كما ورد في بيانها (لست بالخب ولكن الخب لا يخدعني) نحن قلنا: إن الموقف بالدخول أو المقاطعة لم يتخذ بعد، ولكننا أمرنا إخواننا في الولايات أن يستعدوا لهذا وكأننا داخلون الانتخابات، والجبهة هي الحزب الوحيد الذي قدم مرشحيه في كل دوائر الوطن.

* البيان:بعض الإسلاميين خارج الجزائر يقولون: إن القوى التي تكره الإسلام سواء من الداخل أو الخارج لن تسمح للمسلمين بالوصول إلى أهدافهم عن طريق الديموقراطية فعندما يحسون بالخطر يلغون هذه الديموقراطية، فما جوابكم على ذلك ؟

نحن نرى العكس تماماً، لأنه لو وصل أي حزب إلى السلطة وخاصة الإسلاميين عن غير طريق الاختيار الشعبي فإن الدول المحيطة بنا، الدول الغربية ستتخذها ذريعة قوية لأجل التدخل المباشر، ولا شك أن الخارطة الجزائرية معروفة، فهذا المبرر ينبغي أن نقطعه أمام الأعداء، فيكون الاختيار هو اختيار الشعب، لنقطع الطريق أولاً أمام النظام نفسه فلا يجد مبرراً، الشعب رفضك واختار غيرك فينبغي أن ترحل، بالنسبة للدول الغربية لا تجد مبرراً للتدخل لأنه اختيار شعبي تقطع أمامهم كل المبررات.

* البيان: الدول الغربية في نظرتها للمسلمين في بلادهم ليست منصفة، ولا تريد أن يكون لهم نفس الحقوق التي يتمتع بها المواطن العادي عندهم، فمفهومها للديموقراطية مفهوم مزدوج وغير صحيح، وهي تفهم الحرية والديموقراطية لشعوبها، ولكن لا تفهم ما يسمونه الديموقراطية للمسلمين، وهذا واضح في كل بلاد المسلمين. في كل هذه البلاد لو توفر جو من الحرية وقامت حركات لها شعبية، ونظم المسلمون صفوفهم لاكتسحوا الانتخابات، وهذا يعلم به الغربيون جيداً، ولذلك نراهم يعلنون بكل وقاحة معارضتهم أن يكون المسلم في مركز قوي (وضع الجزائر مثال واضح على ذلك) لقد وقفت كل القوى مشجعة لضرب الجبهة، لا نقول وقفت متفرجة بل مشـجعة على

ضربـها، والـمسلم غير الجزائري يرى بوضوح - ومعه الحق - أنه لن يُسمح للمسلمين بهذا الطريق للوصول إلى موضع القوة، فهل هذا واضح بالنسبة للإخوة في الجبهة ؟

هذا تحليل صادق، لأننا نعتقد نفس الاعتقاد، ولكننا نحن من خلال وسائل الإعلام في مختلف الجهات حتى وسائل الإعلام الغربية التي تتصل بنا نبين هذا المفهوم حتى يعرف الرأي العام لماذا المسلم فقط يحرم من الاختيار في ظل الإسلام، اليهودي يختار أن يعيش في ظل يهوديته فلا يمنعه أحد، والنصراني كذلك، المسلم له حق، قلتم: إن الاختيار ينبغي أن يكون للشعب، نحن كذلك نقول هذا الكلام، لا نخاف من شعبنا، نحن نقيم عليهم الحجة بهذه الطريقة، ولئن تدخلوا بعد ذلك في شؤونا، فمن حق المسلمين أن يرفضوا ذلك التدخل بوسائلهم، والشعب الجزائري تاريخه حافل عندما رفض تدخل المستعمر في بلاده وقاومه وانتصر عليه.

* البيان: ولـكــن القضية هناك كانت تصدياً لإنسان خارجي يضع جنوده وضباطه وجهاً لوجه مع الشعب الجزائري ؛ أما الآن مواجهتك ليست صراحة مع فرنسا أو غيرها وإنما مع الجيش الذي هـــو مؤلـــف من أبناء الشعب وليسوا فرنسيين قطعاً، وان كان كثير من قياداتهم واقعين تحت تأثير الفكر الفرنسي، فكيف الخروج من ذلك ؟

لقد كان سعينا واضحاً من أجــــــل أن يقتنع كل الجزائريين أو معظمهم على الأقل بأن الجبهة الإسلامية ليست كما يدعون ليست غولاً يأكل الناس، ولا تخيف ولا ترعب، لأن الجزائريين الذين قد يكونون وقفوا ضـــد الجبهة الإسلامية كانوا مخدوعين، مغرراً بهم، الآن نريد أن نقطع جميع هذه الحجج أمام السلطة وأمام الأعداء، لقد كلفنا موقفنا كثيراً، والحياة جهاد، ونحن لسنا نادمين بحــــال من الأحوال، لأنه إذا رأينا منكراً ينبغي أن نقف ضده، الشعب ليس نادماً ومن خلال الـتـفـافــه القوي يتضح أنه يتحدى أكثر، إن دخول الناس السجون جعل كثيراً من أفراد الجيش ومن قادته يؤمنون أن ما كان يقال لهم إنما كان محض افتراء وكذب، عندما احتكوا بالإسلامـيـين قالوا: هؤلاء لا يخيفون، هؤلاء آمن على البلاد من غيرهم، كانت الدعاية تكذب وتقول إن الجــبـهـة تـرفــــض ميراث التحرير، وقفة الفاتح من نوفمبر كانت حاسمة في هذا الباب، نحن نريد بالإقناع،بالحجة أن نبطـل حجج المبطلين.

بواسطة الضغط الشعبي استطاعت الجبهة تغيير ذلك الـقـانـــون الجائر بـقـانــون أقل منه جوراً، ونقول من الآن: ليس بوسع النظام تزوير الانتخابات إلا إذا استخدم الـعـنــف. وعندما يحصل هذا فلا يوجد استقرار في البلاد، ونحن في الجبهة رفعنا القضية منذ البداية إلى الشعب الجزائري.

"يتبع"

أحوال المسلمين في بلغاريا

عماد الدين بكري إسماعيل

ساءت حالة المسلمين فـي كـثـيـر مـن بـلـدانـهـم بعد الحرب العالمية الأولى وسقوط الدولة العثمانية، واستُعْمِرَ الكثير منها إن لم نقل كلها، وازدادت الحـالــة سـوءاً بـعـد الحرب العالمية الثانية وبشدة في مناطق الأقليات، ومن البلدان التي تعرض فيها المسلمون لأبـشـع أنواع الظلم والاضطهاد حيث منعوا من إقامة شعائر دينهم، دولة "بلغاريا".

لمحة موجزة عن بلغاريا:

تـقـع بلغاريا في الجزء الشمالي الشرقي من شبه جزيرة البلقان، وتبلغ مساحتها 111000 كيلـو مـتـر مـربع، وسكانها 9 ملايين نسمة وعدد المسلمين في بلغاريا حوالي ثلاثة ملايين مسلم، أي ثلث سكان بلغاريا تقريباً. والمسلمون هناك يتكـلـمـون لغتين: التركية، وهؤلاء من أصل تركي سكنوا بلغاريا مع أوائل الفتح العثماني لبلغاريا 1396 م، والذي دام حتى عام 1878 م، وهم يشكلون ثلث السكان هناك.
والبلغارية: وهؤلاء السكـان الأصـلـيـون، ويعـرفـون بـ "البوماك" وهي كلمة بلغارية تعني الأنصار، فهم الذين نصروا العثمانيين وآزروهم عـنـد فتحهم لبلغاريا وكانوا في ذلك الوقت على دين الإسلام، ولذلك نجدهم يقولون ويُصِرُّون على أنهم أسلموا قبل دخول العثمانيين بلغاريا بقرون، إلا أنهم لم يستطيعوا أن يقيموا دولة لضعفهم، والله أعلم.

حال المسلمين في فترة الحكم الشيوعي 1945 - 1989 م

حكم العثمانيون بلغاريا ما يقرب من خمسة قــرون (482 سنة) كــان الحـكـم الإسلامي في بدايتها واضحاً قوياً، ثم تدنى الحكم فيها كما تدنى في كثير من المناطق التي شملها الحكم العثماني، إلى أن وصل مرحلة التفكك والاضمحلال في القرن التاسع عشر الميلادي. وبخــروج الـعـثـمـانـيـيـن مـن تـركـيـا 1878 م (وهو ما يعبر عنه البلغار بالاستقلال عـن الإمبراطورية التركية) واجه المسلمون عقبات كبرى، وضغوطاً شديدة من البلغار الذين يرون الدولة العثمانية مستعمِرة، فأخذوا يلفظون كل ما خلفه الأتراك في بلدهم وأول ما أرادوا لفظه الإسلام والمسلمين الموجودين في بلغاريا، لأن كلمة الإسلام عندهم تعني الأتراك وهم المستعمرون في نظرهم. فضيق على المسلمين كثيراً، وازداد الضغط وبلغت الحملة ضد الإسلام ذروتها إبان الحكم الشيوعي إذ أجبروا المسلمين وفي مناطق البوماك بالذات على تغيير أسمائهم، وهدمت كثير من المساجد وحول بعضها إلى متاحف كما هو الحال في مسجد صوفيا الجامع الكبير ومسجد بلوبدف الجامع كذلك فكلاهما حول إلى متحف يعرضون فيها كل ما يمت إلى تاريخهم بصلة متجاهلين تاريخ

المسلمين، إذ لم نشاهد في أي من المتحفين (المسجدين) شيئاً عن الإسلام إلا روعة المسجدين الذين بُنِيا على الطراز التركي القديم.
وازداد الضغط سوءاً في أوائل السبعينات على الإخوة البوماك بالذات. وفي الثمانينات أذاق الحكم الشيوعي المسلمين من أصل تركي الويلات مما اضطر الكثير منهم إلى الرجوع إلى تركيا - التي لم يرها الكثير منهم - مفضلاً الوضع فيها على هذا الضغط الذي يعانيه في بلغاريا، فاراً بدينه إلى منطقة أكثر أمناً وأقل اضطهاداً.
وممن ساعد الحكومة الشيوعية في الآونة الأخيرة في حكمهم وللأسف الشديد ما أسموه بالمفتي الذي وضعته الدولة الشيوعية رقيباً لها على المسلمين إذ يأتيهم بأخبار المسلمين، وعمله الأصلي ضابط مخابرات، وهو يتسمى باسم المسلمين، ومن أبوين مسلمين، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.
فكانت حالة المسلمين إبان الحكم الشيوعي - يرثى لها، منعوا من تعليم القرآن بل حتى من اقتناء المصحف إلا خفية، ومنعت النساء والفتيات من الحجاب، وصودرت المدارس الإسلامية التي حافظت على كيانها حتى بعد خروج الأتراك وقبل الحكم الشيوعي، صودرت وحولت إلى نواد تجمع الشباب الشيوعي من الجنسين، أو إلى أمكن للخياطة، أو إلى مرابط للخيول، إلى غير ذلك مما يسيء إلى المسلمين.
وبعد مصادرة الدارين وتحويل بعض المساجد إلى متاحف وهدم بعضها، تعطل التعليم وتعطلت الدعوة، فنتج عن ذلك جهل المسلمين الشديد بشعائر دينهم وعقيدتهم والذي رآهم عن قرب يحس بذلك ويتألم له.

حال المسلمين اليوم :

بعد نهاية الحكم الشيوعي في 1989 م، فرح المسلمون فرحاً شديداً بذلك وتوجهوا إلى المساجد وعادت البشاشة إلى وجوههم، ورجعوا إلى مساجدهم القديمة يرممونها ويصلحون من شأنها، ورجعوا إلى تعليم أطفالهم القرآن في المسجد في الأمسيات وأيام عطلة نهاية الأسبوع، وأعادوا بعض المدارس وعاد الحجاب إلى الشارع، وتقف أخي المسلم مدهوشاً كيف عاد المسلمون والحجاب بالذات بهذه القوة، إذ رأينا قرى في مناطق "مادان" وما حولها: كل نسائها وبناتها محجبات، في الشوارع والأسواق والطرقات، وفي المدارس ... الخ. إنها عودة قوية صادقة تحتاج إلى من يدعمها ويقف إلى جانبها.

أهم ما يحتاجه المسلمون بإلحاح:

إن هذه العودة الطيبة والإنابة الصادقة إن شاء الله تعالى تحتاج إلى ترشيد وإنارة، فمما يؤدي إلى ذلك ويلبي رغبات المسلمين في بلغاريا أن يتولى المسلمون المخلصون:

1 - إعادة بناء المدارس: مادياً، وذلك بإصلاح المدارس القديمة المتصدعة، أو إنشاء مدارس جديدة في مناطق يشكل المسلمون نسبة عددية كبيرة فيها. وعلمياً: وذلك بإعداد منهج علمي وفق منهج أهل السنة والجماعة مترجماً باللغتين التركية والبلغارية حتى يتسنى لهم الفهم السريع مع تزويدهم بالمعلمين الأكفاء والتعهد بتغطية نفقاتهم، إذ إن عامة المسلمين هناك من الفقراء.

2 - إنشاء داخليات (سكن داخلي) للطلاب الذين يأتون من خارج مدينة المركز، مما يساعد على توطيد آصرة الأخوة والعمل الجماعي والذي به بعد توفيق الله يكون إكمال البعض للبعض في جو إيماني أخوي.

3 - إعادة ترميم المساجد القديمة وإنشاء الجديدة في مناطق التكتل مما يكون له عظيم الأثر بإعادة دور المسجد للصدارة في بناء الشخصية المسلمة كما كان حاله في صدر الإسلام، يخرج الدعاة والمجاهدين في آن واحد.

مناطق تكتل المسلمين واحتياجاتها :

1 - منطقة كيرجلي:

وهي في الجنوب الشرقي لبلغاريا وكل سكان المنطقة مسلمون، ويقدر عدد المسلمين بها بحوالي 200.000 نسمة، يحتاجون إلى مدارس جديدة وترميم القديم من المدارس والمساجد مع إنشاء مساجد جديدة في بعض المراكز والقرى التابعة للمنطقة.

2 - منطقة رازقراد:

تضم المسلمين في الشرق والشمال الشرقي لبلغاريا، وعدد المسلمين فيها يقدر بحوالي 250.000 نسمة موزعين على مدن وقرى المنطقة وأهم مدن المنطقة هي:

أ ـ- مدينة "شومان" :

وتعداد المسلمين فيها حوالي 50.000 نسمة، وفي المدينة أضخم مسجد وأجمله، بني قبل ثلاثمائة وخمسين سنة، وما زال يعمل، وبها مسجد آخر أقل ضخامة من الأول.

وبها مدرسة النواب المشهورة وهي واحدة من ثلاث مدارس رُخِّص لها بالعمل، عملت اثنتان منهن، والثالثة تحتاج إلى من يتكفل بها مادياً وعلمياً ومعنوياً، ومدرسة النواب هذه تحتاج إلى دعم كبير فهي مدرسة مهمة واقعة في منطقة زاخرة بالمسلمين وفي مدينة من أهم مدن بلغاريا.

ب ـ- مدينة "روسى" :

وتقع في الشمال الشرقي مع حدود "رومانيا" وعدد المسلمين فيها حوالي 400.000 نسمة، تحتاج إلى مدرسين، مع العلم أن بها مدرسة ضخمة بحاجة إلى إعادة تعمير وتأسيس، مساحتها (2500) متر مربع، فيها فصول الدراسة

وسكن الطلاب وتحتاج إلى جهد كبير حتى تقوم. وبالمدينة مسجدان يسدان حاجة المسلمين الحالية.
ج - مدينة رازقراد "عاصمة الإقليم":
عدد المسلمين بها 250.000 نسمة بها ثلاث مساجد، يعمل منها واحد فقط والآخران بحاجة إلى صيانة وإعادة تعمير.
وتحتاج المدينة لمدرسة واحدة على الأقل لتغطية حاجة الطلاب بالمدينة وضواحيها، ولابد من إنشائها إذ لا توجد بالمدينة مدرسة قديمة كغيرها من مدن المسلمين.

3 ـ- منطقة "مادان" :

وهي من مناطق البوماك، وتقع جنوب بلغاريا قريباً من الحدود اليونانية، وتعداد المسلمين بالمنطقة حوالي 80.000 نسمة، وتعدادهم بمدينة مادان نفسها حوال 15.000 نسمة، وهي بحاجة ماسة إلى مركز يجمع مسلمي المنطقة ومدرسة لتعليم أبنائها.

4 - جوتس دلجف:

وهي من مناطق البوماك كذلك، وهي في الجنوب الغربي لبلغاريا وقريبة من الحـــــــدود اليـونـــانية كذلك. وسكان هذه المنطقة يقدرون بـ 60.000 مسلم وفي المدينة نفسها حوالي 10.000 مسلم بحاجة ماسة إلى مسجد كبير ومدرسة.

5 - منطقة بلوبدف:

عاصـمة بلغاريا الأولى، عـدد المسلمين في هذه المنطقة أكثر من 40 ألف نسمة، بها مسجد ضخم بني عـــام 871 هـ الموافق 1450 م تقريباً وما زال يعمل، وبها مسجد آخر جميل حوّله الشيوعيون إلـى مـتـحـف، والمسلمون يحاولون استعادته. ويحتاجون إلى مدرسة في الوقت الراهن لتحل ضائقة التعليم.

6 - مدينة خاسكوفو:

تعداد المسلمين بها أكثر من 25 ألـــف نـسـمـــة، فيها مسجد واحد يعمل، وثانٍ أحرقه الشيوعيون وثالث هدم قبل عشر سنوات، وهم بحــاجتــــة إلى مدرسة حيث يبلغ مرتادو المسجد يومي السبت والأحد من الأولاد أكثر من (200).
وهناك قرى تحتاج إلى مساجد صغيرة وأماكن لتحفيظ القرآن الـكـــريــم تـرفق بالمساجد أو منفصلة، في كثير من المناطق.
ولا يتسع المجال هنا لذكر كل هذه القرى بل بعض المدن التي تتبع المناطق المذكورة آنفا.
هذه هو حال إخوانكم ببلغاريا فهلا مددنا يد العون لهم وأنقذناهم بتلبية احـتـيـاجاتهم أو بعضها وأبرأنا ذمتنا أمام الله تعالى.

أيُّ سلام هذا ؟!

محمد بن حامد الأحمري

عشنا هذه الأشهر الأخيرة مأساة غـريـبـة، كل ما فيها يوحي بالاستهجان والسخرية من هذه الأمة المسلمة المسكينة التي يتفق اليهـود والـنصـارى على تحديد مصالحها، وتحديد حروبها وسلامها، وتحديد أعدائها وأصدقائها، وبالتالي اخـتـيـار قـادتهـا المعبرين عـن مواقفها. فهذه حنان حنا عشراوي الناطقة باسم الشعب الفلسطيني المسلم تعـطـي مـن بقـي لديه ذرة عقل عنوانا لهذا الفصل الجديد من القضية الإسلامية الفلسطينية.

وهــذا الفـصــل الغـريب من هذه الملحمة سبقته أمور كثيرة، مهدت لهذه الحال وشارك في إنتاج هذه الفصول الانهزامية المتتابعة لاعبون كثيرون من فلسطين ومن غيرها، وكان لبعض المشاركين أدوار خطيرة أوصلتنا إلى هذه المحطة الاستسلامية التي نقف عندها اليوم.

والجديد في أيامنا هــذه لـيـس المـخطط الذي يُوّقع عليه العرب ويساندونه ويسلمون به بل ويرغمون شعوبهم عليه ؛ الجديد فـيـه هو الالتزام العملي، أما المخطط اليهودي فقد قرأه العرب منذ زمن ولكنهم للأسف لم يعـقـلـوه. إن الصلح الأخير يلزم العرب بأن ينهوا حالة الصدام النفسي مع اليهود وأن يقبلوا بإسـرائـيـل دولـة صـديـقـة تتمتع بحقــوق الجـار وامـتـيـازات لا يتمـتـع بـهـا الـعـرب تجاه بعضهم. ومن ذلك حقها بإنهاء العداء الثقافي والإعلامي لها، ومنع العرب عن الحديث فـي أي أمر من الدين قرآناً أو سنةً أو حدثاً من أحداث السيرة فيه إشارة إلـى الـيـهــود وأسـاليبهم الخبيثة مع غيرهم وهو الشرط الذي اشترطه شامير للصلح والنقاش،وإنهاء المقاطعة الإعلامية والثقافية والاقتصادية، وبالأخص حذف كلمة الجهاد ضد إسرائيل من قاموس العرب والمسلمين أما إنهاء المقاطعة الاقتصادية فهي لا تقل خطورة عن غيرها حيث يمتد النشاط الاقتصادي الـيـهـودي في أعماق خمول العرب وضياع المؤسسات الاقتصادية الناجحة وغياب الصناعة التي توفر للناس حاجاتهم في بلدان المسلمين حيث يستولي اليهود - وهم من هم معرفة بأصول التجارة وكنز الأموال وعباداتها - ويمتصون ما بقي في هذه البلاد من خيرات ومصادر، ويستولون على الثروات الطبيعية ويصنعونها ثم يعيدونها لنا مرة أخرى، لتعيش الأمة تحت رحمة تجار يهود الذين دمروا اقتصاد العالم الأكثر وعياً وحرية فكيف إذا استولوا على الإقطاعات العربية المتخلفة فيزيدوننا تجويعاً ويسوموننا صنوفاً جديدة من الذل والهوان.

ثم نعمل جميعاً عرباً وغير عرب عمالاً صغاراً مستضعفين أقل من درجة الخدم في مصانع اليهود. إن الذي يؤسف له أشد الأسف أننا نعلم جميعاً ومنذ زمن - من قرأ ومن لم يقرأ - ما يريد يهود منا ثم لا تنفع المعرفة ولا يجدي

التحذير، فمنذ قرابة خمسين عاماً ونحن نعرف ونقرأ معالم هذه المأساة ثم لا يزيدنا ذلك إلا سكوتاً وصمتاً واستسلاماً مقيتاً.
وإذا استسلمت الحكومات فلا أقل من أن يبق لنا دين نعرف به الحق من الباطل وأن نحافظ على كلمة الحق ننطق بها حين لا نستطيع أن نطبقها في الحياة، وأن نحافظ على عقول المسلمين مدركة واعية لعدوها وشره المستطير، وأن نذكّر الأمة بالتاريخ اليهودي الأسود. ومحاولة اغتيالهم للرسول -صلى الله عليه وسلم- مشهد حي في قلوب المسلمين، وقصة غدرهم بالمسلمين لم تغب عنا، وقتلهم الأنبياء ثم سفك دماء المسلمين في عصرنا هذا والمذابح الوحشية التي مارسوها ويمارسونها علينا كل يوم ليس لنا أن نغيِّبها عن ذاكرة الأمة وليس لنا أن نزور التاريخ لصالح يهود كما يحاولون إلزام المسلمين هذه الأيام.
إن اليهود يحاربون الإسلام والمسلمين باليهودية والتاريخ اليهودي، والعرب يغازلونهم بأسلوب المستسلم الواهن العلماني الهجين الذي يكذب منتحلاً ألقاب القومية والوطنية والديموقراطية يغطي بها حكمه البوليسي الذي هو دعامة وجودهم. جاء شامير بحاخاماته يلبسون شعار الدين في دائرة الاجتماع ثم يشتم العرب ويغادر القاعة قائلا لهم: إن غداً السبت وعندنا صلاة.
ويجيب أحد الصحفيين بصلف: "إذا أردت أن تصفني فقل: إنني رجل يهودي تجري اليهودية في دمه." فمن من المسؤولين الذين اجتمعوا معه من يجرؤ على مثل هذا الجواب: "إذا أردت أن تصفني فقل: إنني مسلم يجري الإسلام في دمه" حتى لو كان كاذباً بهذا الادعاء ؟! هل يجرؤ أحدهم أن يقول ذلك ولو من باب الدعاية والاستعراض مثل شامير؟!
نـعـم لقد تأكدت إسرائيل أنها تتعامل مع رجال البوليس في العالم العربي الذين جاءوا إلى المؤتمـــر وقد تأكدوا من تكميم كل الأفواه، واعتقال كل الأشخاص الذين يظن بهم معارضة هذه الخـطـــــوة المشينة، جاءوا بلا هوية وبلا قضية ولديهم استعداد بقبول أي حل يريده شامير، أليس قـبــــول الاشتراك في هذا المؤتمر كان مرهوناً بعرض أسماء الوفد الفلسطيني عليه ؟! ثم يعقِّب بعض الصحفيين العرب بصفاقة لا نظير لها: لقد كانت إسرائيل مرغمة على كل شيء في المؤتمـــر ! وأن العرب كانوا منتصرين !! نعم لكم أن تسموا كل هزائمكم نصراً، ولكننا لن نسميهـــا إلا باسمها الحقيقي. داعين الله أن يبدل هذه الحال وأن يلهم المسلمين الرشاد، ويقيض لهم من ينتشلهم مما صاروا إليه.

مقال

هل تدعم أمريكا دولة روسيا الكبرى

د. أحمد عجاج
أخيراً تحررت شعوب الإمبراطورية السوفـيـاتـيـة - الـتـي تستحق عن جدارة لقب الرجل المريض - من قبضة الحكم الديكتاتوري وظاهرة الانغلاق والـخوف لتجد نفسها مرة أخرى تواجه مرحلة من عدم الاستقرار والضياع. فالديموقراطية التي دغـدغــت أحـــلام الشعب المقهور وارتسمت صورتها الذهبية الواعدة بالخير ومستقبل أفضل لم تكن إلا حـلـمـاً كاذباً ووهماً.
والشعب السوفياتي بجميع فئاته يسير ببطء نحو المجهول وفي ذاكرته شبح مجاعة عام 1920 - 1922 داعياً بحرارة أن لا يقذف مرة أخرى نحو هذا المصير المؤلم.
فالاتحاد السوفياتي الذي كان يوماً ما دولة عظمى نافست أقوى قوى الأرض قاطبةً، يجد نفسه في موقف المراقب العاجز ينظر بعينين عاجزتين إلى تفكك أواصره وتفجر الخلافات والقوميات والعصبيات العرقية التي كانت في الماضي وحدة متكاملة وجزءاً لا يتجزأ من إمبراطوريته الكبرى المترامية الأطراف.
هذا الواقع أجبر الاتحاد السوفياتي على التراجع من الساحة الدولية والانكفاء والتقوقع. وغياب الاتحاد السوفياتي وتفككه يطرح تساؤلات عديدة لها تأثيرها المباشر على الساحة السياسية الدولية والعلاقات الاقتصادية والعسكرية.
والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا السياق هو طبيعة الموقف الأمريكي من الظاهرة السوفياتية. وبعبارة أخرى: هل تسعى الولايات المتحدة إلى مساعدته وإنقاذه من الرمال المتحركة، أم أنها تؤثر التفرج على موت عدوها أو أنها ستعتمد خياراً آخر ؟
الواقع هو أن الولايات المتحدة دائماُ، شأنها شأن بقية الدول، تتعامل ضمن إطار المصلحة والمنفعة دون أي اعتبار للعامل الأخلاقي والمثل العليا. وعامل المصلحة هذا ميز العلاقات الأمريكية - السوفياتية وطبّعها بطابعه حتى في أشد الظروف حرجاً وخطورة.
والولايات المتحدة لم تتردد أبداً في استعمال سلاح الاعتراف، في الأعوام التي سبقت عام 1933، للضغط على الدولة الفتية الشيوعية التي تعتمد مبادئ وأهدافاً تتعارض مع مصلحتها وأهدافها. إلا أن هذا الموقف سرعان ما تلاشى عندما شعرت الولايات المتحدة أن وجودها مهدد من قبل الدولتين الألمانية واليابانية وأنه لا سبيل إلى الحد من نفوذهما إلا بالتقارب مع العدو الشيوعي (الاتحاد السوفياتي).
وفعلاً اعترفت الولايات المتحدة بالدولة الشيوعية في عام 1933 وتحالفاً معا لدحر عدويهما الياباني والألماني. والملفت للنظر أن هذه ليست أول مرة يتم فيها التعاون بين الدولتين - المتناحرتين - بل إن هناك حوادث كثيرة وشواهد تدل على تعاونهما عندما تستدعي الحاجة سواء كان هذا محكوماً بالواقع

الاقتصادي أو غيره. وللتدليل على ذلك فإن وزير التجارة الأمريكي المشهور بعدائه - للشيوعية "هاربرت هوفر" لم يتردد لحظة في تقديم المساعدات الغذائية والإنسانية للاتحاد السوفياتي في عامي المجاعة والتي بلغت قيمتها خمسين مليون دولار أمريكي. وبالطبع فإن هذه المساعدة تثير التساؤل والعجب إذ كيف يعقل لوزير يكن العداء للشيوعية أن يقدم لها إكسير الحياة !
إلا أن هذا ليس مستغرباً أبداً لأن الولايات المتحدة حصلت نتيجة هذا على بعض ذهب الاتحاد السوفياتي وتخلصت في الوقت نفسه من فائض في الإنتاج الذي يؤدي تكدُّسه إلى إبطاء نموها الاقتصادي. ولربما كان العامل الإنساني والديني لهما دور، ولكن يبقى العامل الاقتصادي هو البارز والمسيطر.
إذن من الممكن جداً أن لا تترك الولايات المتحدة عدوها وحيداً إذا كانت ترى في ذلك مصلحة لها. فالاتحاد السوفياتي لم يعد أخيراً تلك القوة التي تُخشى بل تضاءل حجمه ونفوذه كما تنبأ بذلك رئيس الولايات المتحدة الأمريكية السابق رونالد ريغان حين قال إن "الغرب لن يحد من نفوذ الشيوعية بل سيتجاوزها ولن يشغل نفسه بإدانتها بل سيطرحها جانباً كفصل شاذ في التاريخ الإنساني" (1). والرئيس ريغان لم ينطلق من فراغ بل كان يعتمد أصلاً على تعاليم الإنجيل عندما قال: إن الاتحاد السوفياتي إمبراطورية الشر وإن "تعاليم الإنجيل وأقوال المسيح تتطلب منا أن نقاوم الشر بكل ما أوتينا من قوة" (2).
وفعلاً كان له ما أراد فالاتحاد السوفياتي لم يعد بعد تفككه واستقلال جمهورياته إمبراطورية الشر ولكن هل يؤدي هذا إلى تغيير السياسة الأمريكية ؟
لا شك أن الولايات المتحدة لم تعد ترى في الاتحاد السوفياتي ذلك الشبح المرعب. وهذا لا يعني أبداً زوال الخطر الناتج عن تفكك الاتحاد السوفياتي. فالسلطة المركزية تلاشت والوضع الاقتصادي يزداد سوءاً، وهيبة غورباتشوف أصبحت بلا معنى، مما دفع صحيفة برافدا السوفياتية بوصفه أخيرًا "بالرئيس الذي ليس له دولة". ومناشدة الزعماء السوفيات الغرب بتقديم المساعدات لم تلق حتى الآن آذاناً صاغية.
والرئيس السوفياتي غورباتشوف في خطابه الذي ألقاه أمام مؤتمر "الأمن والتعاون الأوروبي" الذي انعقد في الأشهر الماضية في موسكو، تساءل عن سبب تأخر الدول الغربية بتقديم المساعدات الاقتصادية لبلاده قائلاً: "إن الظروف الموجودة الآن صالحة لبدء عملية التعاون وبناء البلاد". وأضاف مؤكداً "إن العالم سيتعامل من الآن وصاعداً مع اتحاد من دول مستقلة تتعايش فيه دول وجمهوريات وعشرات من القوميات والعصبيات بصورة اختيارية ومتساوية".

وتصر الولايات المتحدة وحلفاؤها الغربيون على أن وجود اتحاد كهذا داخل الاتحاد السوفياتي ليس كافياً بحد ذاته وأنه يتوجب تكملة الثورة السياسية بثورة اقتصادية كشرط أولي لتقديم المساعدات الغربية المنتظرة. بل ذهبت الولايات المتحدة أخيراً أبعد من ذلك باشتراطها على الاتحاد السوفياتي تقديم خطة اقتصادية يوافق عليها صندوق النقد الدولي والبنك الدولي، شأنه شأن أية دولة من العالم الثالث، كشرط مسبق للمساعدات الأمريكية. وطالبت الولايات المتحدة أيضاً الاتحاد السوفياتي والجمهوريات السوفياتية بضرورة الاتفاق أولاً على توزيع المسؤوليات والسلطات التي بالإمكان منحها للسلطة المركزية في موسكو.

وهكذا يتضح أن الولايات المتحدة تستعمل السلاح الاقتصادي مرة أخرى كوسيلة لضمان نفوذها وسيطرتها في الإمبراطورية المنهكة. فالولايات المتحدة لا ترى أية فائدة في تقديم مساعدات مالية واقتصادية لبلد لم تتضح حتى الآن معالم تركيبته المستقبلية.

وتبدو السياسة الأمريكية من خلال تصريحات المسؤولين الأمريكيين أنها تميل إلى رؤية الإمبراطورية السوفياتية بنصف حجمها السابق. فدعوتها الدائمة للسماح لدول البلطيق بالانفصال والاستقلال لا تتفق مع دعواتها الداعية إلى إيجاد نوع من الوحدة السياسية والاقتصادية والعسكرية ضمن إطار ما. إلا أن هذا التناقض يمكن أن يزول إذا نظر إلى الأمر من زاوية أخرى. فالولايات المتحدة لا تمانع في أن تأخذ الجمهوريات السوفياتية نوعاً من الحريات الداخلية شريطة أن لا تشمل القضايا الدفاعية. ووجود جمهوريات، داخل الاتحاد السوفياتي، تمارس حريات كاملة في القضايا الاقتصادية والخارجية يوفر للولايات المتحدة فرصة ذهبية للعب على التناقضات والاستفادة من استثمارات ومشاريع يمكن أن تقوم بها. وبالفعل فإن عدة جمهوريات سوفياتية تتنافس في الحصول على الاستثمارات الأجنبية وتعرض عروضاً مغرية في سبيل ذلك. إلا أن تصوراً كهذا يبدو غير ممكن في الوقت الراهن. فوجود السلاح النووي الفتاك والخطر على أراضي الجمهوريات السوفياتية خلق نوعاً من الارتباك والتوتر في السياسة الأمريكية. هذا الارتباك بدا ظاهراً عندما أعلنت بعض الجمهوريات السوفياتية عن نيتها في الإبقاء على السلاح النووي الموجود على أراضيها ومعارضتها إعادته إلى روسيا الفيدرالية.

والارتباك مرده إلى أن هذه الجمهوريات باستطاعتها أن تهدد المعسكر الغربي أي أوروبا باستخدامها الصواريخ النووية الموجودة على أراضيها. والتهديد بدوره لا يمكن أن يصدر عن جمهوريات تدين بالولاء للحضارة الغربية وتلتقي معها سواء في المعتقد أو العادات بل من جمهوريات لا تتوفر فيها هذه المقومات. إذن فالخطر الحقيقي يكمن في الجمهوريات الإسلامية التي لا تشارك المعسكر الغربي أفكاره وحضارته وتاريخه وهنا بيت القصيد.

إن احتمال إبقاء الجمهوريات الإسلامية داخل الاتحاد السوفياتي على السلاح النووي أو استخدامه أو نقله لطرف ثالث يرسل قشعريرة في الجسد الأمريكي والغربي معاً. وقادة روسيا الفيدرالية يعون هذا تماماً ويعرفون مدى خطورته عليهم وعلى العالم الغربي. فقد صرح نائب وزير دفاع روسيا الفيدرالية الجنرال فاتلي شليكوف منذ فترة وجيزة أنه ليس لدينا أي شيء نخشاه من الغرب .. فالخطر يأتي الآن من الجنوب بما فيه من الجمهوريات الإسلامية. ويجب علينا أن نأخذ العامل الإسلامي في الحسبان (3).

وفي هـــــذا السياق ذكرت صحيفة الاندبندنت البريطانية (بتاريخ 15 أكتوبر 1991) أنباء أفادت عن قـيـام تعاون بين المؤسستين العسكريتين الأمريكية والروسية لإنشاء شبكة مضادة للصواريخ النوويـــــة. وهـــدف هذه الشبكة الدفاعية، استناداً إلى الصحيفة المذكورة، هو التصدي للصواريخ النووية التي مــن الـمـمـكن أن تطلقها جمهوريات سوفياتية أو دولة من دول العالم الثالث.

وأمـــــا احتمال كهذا فإن الولايات المتحدة تجد نفسها أمام خيار واحد لا غير هو تدعيم روسيا الكبرى لتكون صمام أمان للخطر الكامن في الجمهوريات السوفياتية إذا تعذر إقناعها بضـــرورة التخلي عن السلاح النووي والانضمام إلى اتحاد يجمع الجمهوريات كلها ضمن إطار دستوري معين. وهذا التصور لمحت إليه صحيفة الهيرالد تريبيون الأمريكية في مقال لها (بتاريخ 15 أكـتـوبـر 1991) جـــاء فيه "أن وجود روسيا القوية والمنيعة التي تحتكر السيطرة على السلاح النووي هو أمر لا يـبـعـث على السرور. ولكن هذا الاحتمال هو أقل خطورة من أن يكون موضوع السيطرة على السلاح النووي داخل الاتحاد السوفياتي موضع شك".

إذن فالولايات المتحدة الأمريكية أمام خيارين: الـعـمــــــل بطريقة ما على إبقاء الاتحاد السوفياتي القديم ولكن بنصف حجمه وضمن إطار دستوري تـعـطـــى فيه الجمهوريات كل ميزات الدول المستقلة باستثناء القضايا الدفاعية والسيطرة على الســلاح النووي. وفي حال تعذر هذا فإن الولايات المتحدة ليس لديها أي خيار سوى تقوية روســيـا الاتحادية لتشكل درعـــــاً واقياً وسيفاً مصلتاً على الجمهوريات الأخرى التي كانت يوماً ما جـــزءاً مـــن إمبراطورية كبرى "الاتحاد السوفياتي".

الهوامش:

1 - خطاب ريغان في جامعة نوتردام في 17 مايو 1981.
Regan Public Papers ,1981, p 434
2 - Speech to Nationals of Evangelical, Orlendo, Florida, Regan Public Papers, Wachington, 1984, pp363-364.
3-- فورين ريبورت 7 نوفمبر 1991.

صحة

تحصين الأطفال

د. محمد صايل أهليِّل

يعتبر الهدف الأول والأخير الذي يسعى لـه الـطــب دائماً هو الوصول بالمريض إلى الحالة الطبيعية من سلامة الجسم، سواء بالعلاج الدوائي أو الـجـراحـي عند حدوث مرض ما أو دفع غائلة المرض عن الجسم السليم، ومنع حصولها بمختلف الــوسـائــل مـن نظافة عامة وحجر صحي، ومنع الاختلاط بالمصابين أو عن طريق التحصين بإعطاء التلقيحات.
يـكـون - أحـيـانــاً - مــن الصـعــب عـلاج بعض الأمراض التي تصيب الأطفال،.لذا فإن المحافظة على سلامة الجسم السليم هي بنفـس القدر من الأهمية - إن لم تكن أكثر أهمية - من علاج الطفل المريض. نعم إن الطفل المريــض يحـتــاج إلى المعالجة، ولكن منع إصابة الطفل السليم بالمرض أهم، وذلك لأن المضاعفات التي ربمــا تـنـجـم قــد تكــون بسيطة أو شديدة، وقد تكون طارئة أو دائمة تلازمه طيلة حياته، وقد تشل بعض قدراتــه العقلية أو الحسية أو الحركية أو غيرها، لذا فإن المثل القائل: درهم وقاية خير من قنطار عــلاج هو أصدق ما يمكن أن يقال في مثل هذا الموضع من درء غائلة المرض بتحصين الطفل.
إن الطفل - بحكم صغر حجمه وعدم تعرضـه مسبقاً للأمراض - وضعف مناعته النسبي - أقل قدرة إذا ما قيس بالكبار، على مقاومة الأمــراض الـتي قــــد تحل به، لذا فإن بعض الأمراض أسرع انتشاراً وأشد خطراً على الأطفال منها على الكبار.
إن أمراضاً كالتدرن الرئوي والخانوق (الدفتريا) والكزاز، والشاهوق (السعال الديكي) وشلل الأطفال: من الأمراض التي قد تفعل الأعاجيب بالطفل إذا أصـيـب بأحدها، لما تسببه من مضاعفات خطيرة قد تصل إلى الوفاة، إضافة إلى صعوبة علاجها وارتفاع كلفته. وإن نتائج مثل هذا العلاج غير مضمونة أحياناً،فالعلاج لا يقدر أن يمنع حدوث المضاعفات الناجمة. لذا كان تحصين الأطفال باللقاحات الخاصة بهذه الأمراض أسلم وأنجح السبل.
إن بعضنا قد تعود أن يرى أمراضاً كثيرة تنتشر بـيـن الأطفال وكأنها أمر حتمي لابد للطفل أن يمر به خلال سني عمره، أو كـأنــــه مــرحـلـة من مراحل نموه، فالحصبة، والنكاف والحصبة الألمانية - بشكل أقل شيوعاً - تنتشر بين الأطفال بشكل سريع جداً كأنها النار تدب في الهشيم خصوصاً الأطفال في سني الدراسة الأولى، أما خـطـورة هذه الأمراض فهي بما تسببه من مضاعفات تكون أحياناً غاية في الخطورة، فـشـيوعها وانتشارها بين الأطفال لا يعني انتفاء أضرارها بتاتاً. لذا فإن اللقاحات الخـاصــــــة بها تمنع أيضاً انتشارها بين الأطفال، وتقلل من المضاعفات الناجمة عنها.

إن اللقاحات تُعطَى للأطفال حسب خطة زمنية معينة، ويعاد تكرارها لبناء مناعة كافية في جسم الطفل طول عمره مما يقلل من احتمال إصابته بالمرض الذي حُصِّنَ ضده حال حدوث تعرضه لطفل مصاب، وتعطى اللقاحات حسب الجدول الزمني التالي:

1 - لقاح التدرن الرئوي - يعطى خلال الأشهر الأولى خصوصاً في المناطق التي ينتشر فيها المرض بشكل واسع.

2 - لـقــــاح الخانوق - الشاهوق - الكزاز: يعطى بالعضل على الشهر الثاني ثم يعاد في الشهر الرابـع، وتعطى جرعة ثالثة في الشهر السادس من العمر. يسمى هذا اللقاح باللقاح الثلاثي. يعـطــى الطفل جرعتان منشطتان من هذا اللقاح على العمر سنة ونصف، وأخرى على العمر بين 4 - 6 سنوات.

3 - لقاح شلل الأطفال وهو يعطى عادة بالفم ولكن بنفس مواعيد اللقاح السالف.

4 - لقاح الحـصـبـة - النكاف - الحصبة الألمانية: يعطى على عمر 15 شهراً مرة واحدة فقط.

بهذا يكون الطفل قد أكمل تحصينه ضد الأمراض الخطرة التي يمكن منع حصولها خلال سني الطفولة الأولى.

هل لهذه اللقاحات من آثار جانبية ؟

هــــذا مـــا قد يسأله البعض، والجواب: نعم، ولكن غالباً ما تكون الآثار الجانية بسيطة ومؤقتة تـظـهــــر عادة كحمى لا تتجاوز 36 ساعة أو بشكل ألم موضعي في مكان الحقنة العضلية، أو ظهور طفح جلدي خفيف لا يستلزم علاجاً، أما بالنسبة للمضاعفات الرئيسية فهي نادرة الـحــــدوث وأن الضرر الناجم عن اللقاح أقل بكثير من المضاعفات الناجمة عن الإصابة بالمرض نفسه إذا ما أصيب الطفل به.

إن هذه اللقاحات فعَّالة جداً، فهي تحصن الطفل من المرض بنسبة عالية قد تصل إلى مائة بالمائة في بعض اللـقــاحات، لذا فإن تحصين الطفل ضد الأمراض المذكورة حق للطفل على والديه، فلا يقصران في تأدية هذا الواجب.

منتدى القراء

أين التوازن معاشر الخطباء

أبو سليمان الشافي

كثيراً ما نجد خطيباً في مسجد ما يثري أفكار جماعة مسجده بموضوع معين ويبدئ ويعيد حول ذلك الموضوع، ويهمل ما سواه، وكأن المسلمين قد صلحت جميع أحوالهم وفهموا كل شيء سوى هذا الموضوع الذي لا تكاد تصلي معه

في مسجده إلا ويحدثك عن أهميته وجهل المسلمين به وحاجتهم إليه. أحد الخـطـبـاء يتكلم في كل جمعة عن التبرج والسفور والنساء وخروجهن إلى الأسواق الخ ... وخطيب مـسـجـد آخــر لا تكاد تسمعه يخطب إلا في الموت والجنة والنار والقبر ومنكر ونكير. وإمام ثالث لا يتكلم إلا عــن أعـــداء الإســـلام والـغـزو الفكري وخطط اليهود. وإمام رابع يذكر الناس دائماً بشروط الصلاة ووجوب الزكاة وأحكام المسح على الخفين ويغفل تماماً عن غيرها.

إن الخطـبــة ما شرعت ليركز من خلالها على موضوع أو موضوعين، بل شرعت ليتم مــن خلالها التعـلـيــم والترغيب والترهيب والتذكير بجميع ما يهم المسلمين كأحكام عباداتهم ومعاملاتهم ومشاكلهم الاجتماعية وعلاج بعض عاداتهم المخالفة للشرع وتبصيرهم بواقعهم وتعريفهم سبل المجرمين وبيان خطر إهمال النـهــي عن المنكر ووجوب الأمر بالمعروف إلى آخر القائمة الطويلة التي يحتاج للحديث عنها أولـئــك المـتـجـهون للمسجد الجامع أداءً لفريضة الله تعالى وأملاً في سماع المفيد الجديد.

لماذا لا نقبل على المجلات الإسلامية ونساندها؟

عثمان بن محمد الحنين

من الملاحـظ أن بعـض المثقفـين من أهل الخير لا يقبلون على المجلات الإسلامية في الوقت الذي نجدهم فيه يقبلون على غيرها من المجلات والصحف بدعوى أنهم يأخذون من تلك الصحف ما يفيد ويدعون ما يضر ... وإذا ما ذكرت عند أحدهم مجلة إسلامية - حيث الفائدة دون الضرر - فإنه يأخذ يعدد أخـطــاء تلك المجلـــة وتقصيرها في أمور معينة. ونقول لهذا الأخ:

ولنفرض أنك مصيب فيما تقول، لكن ألا ترى يــا أخي أن الإنـســان لا يخـلــو من العـيـوب والأخطاء ؟ فما بالك بمجلة يقوم عليها ويساهم فيها مجموعة من الناس وأنا هنا لا أقــر الأخطاء ولكني أريد أن أؤكد أنه إن كان للمجلات الإسلامية من عيوب فهي قليلة جداً إذا مــا قورنت بعيوب غيرها من الصحف بل لا وجه للمقارنة هنا. وقد يكون ما يُنظر إليها على أنـهــا أخـطــاء أو عيوب ما هي إلا الأخذ بأمر اجتهادي أو أمر يقبل اختلاف وجهات النظر وقد تكون في أمور ثانوية كمسألة الإخراج أو قضية التوزيع..

وإنني هنا أدعو للإقبال على المجلات الإسلامية - أو على بعضها أو إحداها على الأقل - قراءة وإن أمكن اشتراكاً أو مساهمةً فإن في ذلك ثقافة صافية لعقولنا حيث نجد الموقف الصادق والرؤية الأمينة والتحليل السليم والموضوع المهم ...

كما أن في ذلك أيضاً تشجيعاً ودعماً لتلك المجلات المفيدة وهي الأولى بذلك من غيرها. ومن المعلـوم أنه لا يمكن أن تنجح صحيفة جادة بدون أن يكون لها قُراءٌ ومتابعون يـقـفـون بجـانـبـهـا يقدمون الاقتراح الجيد والتوجيه القويم والنقد البناء والمساهمة التي تضيف إلى الخير خيراً .

وإذا علـمـنــا حجم العقبات التي توضع في وجه المطبوعات الإسلامية ، والتسهيلات التي تمنح لغيرهــا -على الرغم من أخطاره وعواقبه- أصبح من الواجب أن يتنادى المسلمون -جماعات وأفـــــراداً- إلى تشجيع كل ما من شأنه التعريف بالإسلام والدفاع عنه في وجه الإعلام الذي يثير الشبهات ويهدف إلى تشويه صورة الإسلام بين أبنائه وأعدائه .

بريد القراء

* **الأخ أبو محمد** يقترح على المجلة الإعلان في صفحاتها عن مشروع للتبرع باشتراكات لقراء آخرين يعجزون عن توفير قيمة الاشـتــراك في كـثير من بقاع العالم. ذلك أن كثير من الراغبين العاجزين عن الاشتراك وذلك بسبب ضيق ذات الـيـد وهذا هو الأغلب، أو يكون بسبب القيود التي تفرضها بعض الحكومات على تحويل العملة الصعبة.

* **البيان:** نشكر الأخ أبا محمد على اهتمامه بأمور المسلمين وحـرصـه على وصول الخير إليهم. ونحن نضم صوتنا إلى صوته ونعلن هذا في البيان لأن ما ذكره الأخ صـحـيــح وهناك قراء كثيرون يمنعهم من الاشتراك نظام تحويل العملات في بلدهم وقد كان من أهـداف ذكر الاشتراك الممتاز هو مساعدة مثل هؤلاء.

* **الأخ عبد الحفيظ خالد جبريل**

شكراً لك على ملاحظتك التي أبديتها حول زاوية طرائف في (البيان الصغير) كما نشكرك على اهتمامك بالبيان.

* **الأخ محمد عبد الله القحطاني**

أرسل كلمة قصيرة ينعي فيها على طريقة التعليم في البلاد العربية التي يقضي فيها الطالب وقتاً طويلاً لا يـتـنـاســـب أبداً مع كمية المعلومات المقدمة إليه، ولا مع الاستفادة من هذه المعلومات، خاصة إذا قـــارنـــــا ذلك مع المدة التي كان يدرس فيها الطالب في العصور الإسلامية الزاهرة وكيف يتخرج بعدئذ.

* **الأخ محمد بوراس**

أرسل إلينا مقالة بعنوان (رسالة إلى المسلمة المعاصرة، هؤلاء هم أعداؤك) نقتطف منها ما يلي:

"إن الـمــــــرأة المسلمة في ظل الإسلام لا تحتاج إلى شعارات زائفة،ولا إلى دعوات باطلة، والأجدر أن تكون الحرية التي تنادي بها هي تحرير العقول من هيمنة الفكر المسموم الذي تحمله التيـــارات التغريبية وتحرير السلوكيات من آفة التقليد الأعمى، وإن دعاة تحرير المرأة ما هم إلا حفنة ممن تشربوا الفكر الغربي وأعجبوا بوضعية المرأة هناك..".

*** الأخ عبد الوهاب محمد عبد الجبار**

نرحب بك يا أخ عبد الوهاب والقصة التي أرسلتها بحاجة إلى صياغة أفضل وننصحك بالإطلاع وكثرة المطالعة.

*** الأخ إبراهيم زمل الشمري أرسل مقترحاً:**

1 - لم لا تكون هناك زاوية بعنوان علماء المسلمين تُعْنَى بنشر تراجمهم باختصار وأهـــم وأشهر إنتاجهم - حيث أن معظم القراء لا يعلمون الكثير عن تراجم وسِيَر علمائهم.

2 - زاويـــة أخــــــرى بعنوان "اعرف إخـوانك في العالم" تُعنى بنشر الوقائع التاريخية للأقليات المسلمة في الـعــالم وبـعـــــض مــا تعرضوا له من ويلات ونكبات مثل إخواننا في يوغوسلافيا وشرق أوروبا والاتحاد السوفييتي والصين. ولكم جزيل الشكر.

* البيان: نـشـكـــــر الأخ إبراهيم على اهتمامه وسيرى في هذا العدد بعض ما اقترح وهي دراسة ميدانية لأحوال المسلمين في بلغاريا ونعده إن شاء الله بتحقيق الاقتراح الأول.

هموم الدعوة في الغرب

عبد الجبار الطعمة

عندما نلقي نظرة على تاريخنــا الإسـلامـي، وكـيـف انتشر الإسلام في فترة وجيزة ليغطي حوالي ثلاثة أرباع العالم القديم، فلا نملك إلا الدهـشـة والإعجاب للدور الذي لعبه التجار وغيرهم من الدعاة المسلمين في انتشار الإسلام في البقاع النائية من العالم القديم.

عندما نحلل بعناية الحقائق التاريخية، نجد أن أولئك الـتـجـار والـحـرفـيـين بأسلوبهم التلقائي ؛ وبتقواهم واستقامتهم في تعاملهم مع الناس، يختلفون اختلافاً جذرياً عن أولئك الـمبشـرين الذين يمثلون الأديان الأخرى، والذين يستخدمون الوسائل الإغرائية والأمــوال الطائلة ودعم الحكومات والمؤسسات الرسمية وشبه الرسمية. إن سر نجاح المسلمين الأوائل في الدعوة، يكمن في كونهم مسلمين بحق، يطبقون الإسلام بصدق على أنفسهم، وينتهجون أسلوب الأمانة في التعامل اليومي مع كل البشر، وكانت شخصياتهم انعكاساً حياً وصادقاً للإسلام الحقيقي.

هذه هي الوسائـل الـتـي كـانــوا يستخدمـونـهــا، والتي جعلت أولئك الذين يحتكون بهم يحاولون التعرف على ما يؤمنون به، وبالتالي تـتـكـون الـقـنـاعــة الـتـامــة لديهم لاعتناق الإسلام، عن رغبة ملحة، فيأخذونه ديناً حياتياً.
إن على المسلمين الذين يعيشون في الغرب، مسؤولية كبيرة وواجباً صعباً.
إن مهمتهم لا تنحصر فقط في دحض افتراءات المستشرقين وما يقومون به من تشويه للحقائق التاريخية، ولكن ليتصرفوا كمسلمين حقيقيين، ليكونوا مثالاً ناطقاً للإسلام. كما كان الأوائل من السلف، وفوق كل ذلك، عليهم أن يحافظوا على الأجيال الجديدة التي نشأت في الغرب، من عوامل الذوبان من ناحية الدين والشخصية والهوية. ويجب عليهم أن يجاهدوا في عرض الإسلام الحقيقي على الجيران والأصدقاء، ومن يحتكون به، عسى أن تمحى تلك الصورة التي خلفتها العصور السالفة وافتراءات المؤرخين، التي صبغت الإسلام بصبغة ممقوتة لدى الإنسان غير المسلم.
إن دائرة الضوء التي يجب أن نوجه أنظارنا إليها الآن في الغرب، هي الأجيال المسلمة التي ولدت في هذه البلدان.
أحد القساوسة الهنغاريين، وجه كلامه في كنيسته، قائلاً للأقلية الهنغارية التي تقطن أمريكا: "أنتم أيها الهنغاريون في البيئة الأمريكية، كأنكم في جزيرة صغيرة وسط محيط هائل، وإن الأمواج تعصف بها من كل جانب، وما لم تعملوا شيئاً لحماية هذه الجزيرة، فإنها ستصبح يوماً ما جزءاً من هذا المحيط الزاخر".
إن نفس الشيء يمكن أن يقال عن المسلمين في الغرب. إنهم أقلية صغيرة في بيئة غير مألوفة، وما لم يبادروا إلى المحافظة على قيمهم، فإنهم سيكونون هم الخاسرين.
إن الصعاب التي يواجهونها الآن ليس مستحيلاً التغلب عليها، ولكنها تحتاج إلى اهتمام وعناية بالغتين.
فالمشكلة تكمن في عدم الخبرة في فن إبراز الإسلام أو تمثيله التمثيل الصحيح، وأن الكثير من ذلك يعتمد على طريقتنا في تعليم أولادنا الطرق المثلى للقيم والعادات والتقاليد، فالكثير منا يحاول فرض ذلك بالقوة وهذه طريقة غير مأمونة العواقب بل لا بد من استعمال الحكمة.
إن طريقة الدعوة للإسلام في البلاد العربية مثلاً، تختلف في بعض جوانبها عنها في إنكلترا، وإن طريقة الدعوة في إنكلترا، تختلف عنها في أفريقيا.. ((ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ)).
إننا إذا أردنا أن نعرّف أحدهم بالإسلام، فالحكمة هي الوسيلة لذلك. إن كلمة الحكيم في اللغة العربية والتركية والفارسية والأردية، وبعض اللغات الأخرى، تعني الطبيب. والطبيب الحاذق هو الذي يشخص الداء، ويعطي الدواء المناسب لكل علة، ولو أنه أعطى لكل المرضى نفس الدواء، لشفي البعض،

وبقي البعض الآخر عليلاً، وربما مات بسبب الدواء. عندما يدعونا القرآن الكريم إلى استعمال الحكمة في الدعوة إلى الله، فإن هذا يعني التمييز في وسائل الدعوة، حسب الظروف والأحوال والأمكنة والأشخاص.
علينا أن نحلل الأشخاص أمامنا ثم بعدها نقرر طريقة الدعوة لكل واحد بما يلائمه.
في البلاد الإسلامية، يقوم الخطيب أو الداعية، أحياناً، وبنية حسنة طبعاً، بتقريع الناس، والنحو باللائمة عليهم، ولكنهم يتقبلون ذلك بصدر رحب وهم مدركون أن هذا الانتقاد أو التقريع، إنما جاء لحرص الخطيب أو الداعية على هداية الناس - إلى الطريق الأصوب، أما إذا ما استعملت الطريقة ذاتها في الغرب، فإن الداعية سوف يسمع كلمات تدل على أنه تعدى حدوده وأثار مشاعر الآخرين، وحتى من أولئك الشباب اليافع الذي يرى أنه يعيش في مجتمع حر، وأن هذا الخطيب أو الداعية قد جرح شعوره، وأثار حفيظته. من هنا تأتي ضرورة التفريق بين هذا وذاك في انتهاج أسلوب الدعوة، لأن الناس ليسوا على نفس الشاكلة.
إن الداعية في الغرب، يواجه مهمة صعبة للغاية، أما في البلدان الإسلامية، فإن الناس، على الأغلب، مشتركون في الانضباط الإسلامي والقيم الخلقية، وعلى مستوى معين. وبعكس أولئك الذين يعيشون في الغرب، وفي إنكلترا بالذات، فإن الداعية يتعامل مع خلفيات متشعبة جداً من حيث العادات والتقاليد والأعراف واللغات والاتجاهات المذهبية والعرقية. إن كل هذه الاختلافات يجب أن توضع في الحسبان وتحلل وتهضم ثم توجه الدعوة، وبوجود مثل هذه القاعدة العريضة والمتشعبة، فإن الهداية إلى طريق الله تعالى،تأتي بعد ذلك من الله وحده، لمن أراد هدايته.
إن على الآباء والأمهات في الغرب أن يكونوا حذرين في كيفية توجيه النصح والتعامل مع أبنائهم إذ من الممكن أن يفقدوهم، حيث أن النظام الاجتماعي يسمح لهم بالتمرد والعيش بمعزل عن الأهل حيث يتم إيواؤهم من قبل واجهات النظام الاجتماعي، فيعيشون بعيدين عن جو العائلة الإسلامي، وتكمن الخطورة في اندماجهم برفقاء السوء، وانصهارهم في محيط المجتمع الزاخر.
إن الإسلام كذلك يضمن للأبناء أن يحيوا حياة تحقق لهم العيش بكرامة وحرية، ضمن الأطر الإسلامية، داخل البيت وخارجه.
عندما يعطي القرآن الكريم ثلاثة طـــــرق للدعوة وهي: استعمال الحكمة أولاً، ثم الموعظة الحسنة، ثم المجادلة بالتي هي أحسن، فإننا على الأغلب نجادل أكثر بكثير مما يجب، ونحاول التركيز في جدالنا على الاختلافات الطفيفة في المسائل الفقهية، بينما الواقع يقول بأن هذه الاختلافات، لا تحمل تناقـضـــات في الدين. إن الجدال بشكل عام، لا يخلق إلا الفتنة والنزاع،

ويضيع كثيراً من الجهـــــــود المخلصة والهادفة، وكثيراً من العمل البناء الدؤوب، وإننا لنشهد الكثير من هذه الممارسات الخاطئة يومياً.
إن البعض يتعامل في أمور الربا ويصرف الأمـــــــوال الطائلة على أشياء كمالية، ولا يؤدي الفرائض المطلوبة كالزكاة، والحج، ولكنه يناقــش إن كان اللحم الذي يأكله قد ذبح على الـطـريـقتـــة الإسلامية أم لا، إن مثل هذه التصرفات تقوى مزيفة، ينعكس خطرها على الأجيال التي نقوم بتربيتها.
إن أكبر هـمـنــا أن لا يتزوج أولادنا من غير المسلمين، محاولين ضمان مستقبلهم بإرسالهم عند نهاية عـطـلـــــة الأسبوع، إلى المدارس الخاصة لتعليم العربية أو الأوردية وتحفيظهم القرآن الكريم وتعريفـهـم بأمور دينهم، ثم نسرع الخطى بعدها إلى الانغماس في الدنيا، ولا نطبق الإسلام على أنفـسـنـــا، سواء داخل البيت أم خارجه. إن الأطفال لا يمكنهم تعلم الكثير بهذا الأسلوب بقدر ما يعلمهم التقليد اليومي في البيت وأهلهم هم الأولى أن يعكسوا التصرف الإسلامي اليومي.
إن علينا إذا أردنا أن يكون أولادنا مسلمين بحق - أن نكون مسلمين بحق.
إذا كان لديك طفل يبلغ سنتين من العمر ورآك تصلي، صلى معك بتلقائية وعفوية،وسوف يأتـي بـعـــدهـــا الفهم التدريجي. إن التقليد دائماً يولد الفهم ... هذه هي الطريقة المثلى، والتي تبدأ من أشياء صغيرة، قد نحقرها، إلا أنها الأساس الذي تبنى الأجيال الإسلامية عليه.
إنـنـــا نحاول أحياناً أن نحمل الأطفال ما لا يطيقونه .. يجب أن نعلمهم القراءة والكتابة بأناة وحكـمــــــة، ولو حاول الآباء صرف بعض الوقت، وباستمرارية وصبر، لآتت الثمار أكلها ومن ثم يأتي التعليم الأكثر عمقاً.

كيف تبني نفسك تربوياً

عبد الله بن مبارك آل السيف

أهمية الموضوع :
مر المسلمون في الفترة السابـقــــــة بمرحلة كانت الحاجة فيها إلى الدعوة والتربية أكبر من تحصيل المادة أسوة بالمرحلة المـكــية التي ركز الرسول - صلى الله عليه وسلم- جهده فيها على توسيع رقعة الدعوة وتربية الأفـــراد مع قلة التكاليف والأحكام الشرعية، ولهذا كان بعض المربين قد أهمل نفسه في الجانب العلمي.
وبعد أن توسعت رقعة الدعوة وكثر سواد المهتمين بالإسلام وكسبت الدعوة رصيداً كبيراً في الشارع الإسلامي وهي المرحلة التي يمكن أن تشبه بالمرحلة المدنية - في بعض الجوانب - في هذه الرحلة ظهرت الحاجة إلى البناء التربوي الجماعي - لا الخاص.

إن الحاجة إلى العلم الشرعي في بناء الـعـمــل الإسلامي تنبع من ضرورة السير على منهج الكتاب والسنة، كما تنبع من تعطش الشباب الـمـسـلــم إلى العلم الشرعي الصحيح وتقويم مسيرتهم على أساسه ووزن الناس بميزان الشرع.
ولذا فإن الدعاة الأكثر تأثيراً في الجيل القادم هم أكثر الناس حصيلة شرعية وتربوية، فلا يغني أحد الجانبين عن الآخر، ولذا كان هذا الموضوع في أساليب البناء التربوي والعلمي.

الجانب التربوي :

هناك عدة أساليب لبناء شخصية الداعية التربوية وتنمية قدراته الدعوية وزيادة خبراته وتجاربه منها:
1 - قراءة كتب التفسير وخاصة في مجال دعوات الأنبياء وصبرهم وتحملهم وأساليبهم في الدعوة وتربية أتباعهم من المؤمـنـيـن، ودراسة أحوال الكافرين ومعرفة صفاتهم وطبائعهم وعاداتهم في التعامل مع الدعوات الصادقة من خلال القرآن وتفسيره.
2 - قراءة سيرة النبي -صلـــى الله عليه وسلم- والاسترشاد بحرصه على تبليغ الدعوة ودراسة أساليبه فـي الـبـلاغ وطريقته في تربية الأتباع واستغلاله لكل المناسبات في التربية والدعوة من خلال القرآن والسنة.
3- قــراءة ســـيـرة السلف الصالح في تربية النفوس وكيفية تزكيتها وحملها على الخير والطاعة والمصابرة في ذلك، وطريقة الصحابة في تبليغ الإسلام إلى الأمصار المفتوحة وكيف استطاعوا تربية الآلاف المؤلفة من الداخلين في الإسلام بالقدوة الحسنة وكيف نقلوهم إلى هذه المرحلة الإيمانية العالية.
4 - قراءة كتب الدعوة التي تعنى بالأساليب وتحديد الأهداف وبلورة المنهج الدعوي وخاصة من الموثوقين أهل السنة والجماعة أصحاب المنهج السليم.
كما أنه يمكن الاستفادة من منهاج غيرهم - بحذر - في القضايا المشتركة التي أبدعوا فيها.
6 - العمل في مجالات الدعوة العامة الخاصة له أثر كبير في بناء شخصية الداعية، وكلما كانت دعوته أوسع كلما كانت شخصيته أقوى تربوياً، وبذلك تزيد خبرته الدعوية، وكم من الناس قليل القراءة في مجال الدعوة والتربية ولكنه يثير إعجابك به في هذا المجال وتتملكك الدهشة منه، والسر في ذلك كما قلت الحركة المباشرة وكما يقال:"حَرِّكْ تَرَ".
7 - قراءة كتب الرقائق والوعظ وتهذيب السلوك والتذكير بالله والتخويف من عذابه والتي تحث على مراقبته وخشيته ورجائه والاعتماد والتوكل عليه والإخلاص له والتجرد في القول والعمل والاعتقاد له.

الجانب العلمي :

ويشمل تحصيل العلم الشرعي وبناء الحصيلة الثقافية العامة ومعرفة الواقع.
وهنا أمور ننبه إليها قبل ذكر أساليب القراءة منها:
* الفنون الصعبة تقرأ في أوقات الصفاء الذهني، والكتب السهلة تقرأ في الأوقات الأخرى.
* لا تقف عند المسائل الصعبة إذا تعسرت - خلال القراءة - حتى لا تضجر من القراءة، واعرضها على شيخ فيما بعد أو ابحثها.

أساليب القراءة :

1 - قراءة كتب معينة في العلم على الشيخ أو شرح الشيخ لها.
2 - قراءة الكتاب كله مع الإشارة إلى ما يشكل ثم عرضه على شيخ بعد الانتهاء.
3 - طريقة بحث المسائل من أول باب في الفقه إلى آخره مع معرفة الراجح.
4 - طريقة قراءة متن في العلم ثم قراءة شرحه والتوسع في الفن.
5 - طريقة قراءة كتاب الطهارة من الفقه مثلاً ثم قراءة كتاب الطهارة من الحديث ثم من القواعد الفقهية - عند من يرتبها على الأبواب الفقهية - ثم من تخريج الفروع على الأصول وهكذا بالربط بين العلوم.
6 - طريقة تلخيص ما قرأه في يومه ثم قراءة الملخص في الليل ومحاولة حفظه ومراجعته في الصباح.
7 - طريقة القراءة مع استنباط الفوائد وترتيبها وكتابتها في أوراق خاصة لتكوين مشاريع تأليف طويلة المدى، أو بتعليق النكات العلمية المهمة في غلاف الكتاب أو نقلها إلى حواشي كتب أخرى تناسبها.
8 - طريقة القراءة مع الآخرين مع الحوار والنقاش.
9 - طريقة تلخيص الكتاب كله ثم قراءة التلخيص عدة مرات.
10 - طريقة قراءة الكتاب كله مرة واحدة وعدم تجزئته أو الانشغال بغيره.
11 - طريقة استصحاب الكتب الصغيرة الجيدة في كل مكان وزمان وقراءتها للحفاظ على الوقت - خاصة مع سهولة حملها.
12 - طريقة ترتيب العلوم بحسب السنوات، فمثلاً: السنة الأولى للعقيدة والسنة، التي بعدها للفقه، ثم التي بعدها للحديث، أو يجمع في السنة الواحدة بين علمين مترابطين فأكثر، ثم ينتقل إلى علوم غيرها وهكذا.

الورقة الأخيرة

قصة وعبرة

محمد الحسيني

في معهد تدريس اللغة الإنكليزية وفـي مــادة تقدم لتطوير القدرة على الكلام تحلق الطلاب الأجانب من عرب وآسيويين ومن جنوب أمـريـكـا حــول

المدرس الذي بدأ حديثه بإعطاء وصف لطريقة تقديم الكلمة أو الخطبة، وضرورة البداية بكـلـمـة جامعة تلمح إلى الموضوع، ثـم الـدخول في تحديد واضح له ثم إعطاء فكرة عن موقف المتكلم مـن القـضـيـة التي يريـد نقاشهـا، ثـم عـنـاصـر الـموضوع وسرد الأفكار وأدلتها. وكان موضوع الحديث: الكلام عن الخمر وأضرارها الشاملة للفرد والمجتمع، ومع المدرس الكتاب المنهجي الذي يساعد على طريقة التدريس، وفيه مـثـال كـامل للكلمة المطلوبة، وفيه أدلة إقناع بأخطار الخمر حيث تسبب موت مئات الآلاف من الناس، وتكاد تكون السبب الأول للموت في أمريكا من حيث الأسباب المباشرة لحوادث السيارات أو الموت البطيء ؛ لما تسببه من أمراض عصية تُميت ببطء. وبدأ المدرس درسه أو كلـمـته في الموضوع وبحماسة ظاهرة لأخطار هذا المرض، واتبع الأسلوب المطلوب في العرض وكان مقتنعاً بما يقول.
ثم أمر الطالب الأول بالحديث عـن الخـمــر حيث تحدث طالب مسلم مؤكداً فكرة المدرس وأن الخمر مفسدة للحياة مدمرة للخلق ولم يزد عـما قاله المدرس لضعفه في التعبير عن رأيه ولأنه مبتدئ في تعلمه الإنكليزية. ثم تحدث بعده طـالــب مسلم آخر وقرر ما سبق أن قرره الأستاذ والطالب الأول، وكان هدفه مجرد الكلام ليتمرن على الإنكليزية لا للإقناع ..
وفجأة وقبل انتهائه من حديثه انفجر المدرس غضباً واحمــر وجـهـه بـمــا يشير إلى سخط عظيم وقال: إنكم تتحدثون عن الخمر وفساده بعاطفة دينية ولا تناقشون القـضـية بأسلوب عـلـمـي، إن الـدافــع الـديـنـي يحرككم لهذا الموقف الغريب الخاطئ تجاه الخمر وشربها وموقفكم من الخمر خطأ فادح حـيـث الخمر مفيدة للصحة، وطبيبي الخاص ينصحني بأن أشرب كأساً من الخمر على كل عشاء! فما كان من الطلاب إلا أن التقت أبصارهم يتبادلون ألحاظ السخرية والاحتقار لهذا الـمـدرس الغـبي الحاقد الذي كذّب العلم والعقل والكتاب الذي يقرؤونه وكذب نفسه أخيراً في حديثه الافـتـتـاحي عن مصائب الخمر، وكذب تاريخ أمريكا وتاريخ البشرية كله بما سجل عن هذا الشر العريق. والسبب الذي دفعه إلى هذا أن الطالبين كانا مسلمين يبدو عليهما التدين الذي يدرك الـمدرس علائمه من سلوكهما المترفع من بين طلاب المعهد، ويدرك أنهما يكرهان الخمر ويحتـقــران أهلها لأن الله حرمها. وأما العلم والعقل فقد حرمها وحرمتها أمريكا سنة 1930 فلم تسـتـطع التنفيذ وتحولت البيوت إلى مصانع للخمور وكثر القتلى والمسجونون والمطاردون بسببها.
لقد كان المدرس يريد من الجميع التأكيد على نقد الخمر ونقد السكارى، ولكن حين أحس بالنقد الآتي من الدافع الديني فقد عقله وتحول إلى شخص متناقـض مــن شــدة كـراهـيته للإسلام.

ليس الغريب أن يقـف هؤلاء هذا الموقف مما يخالف آراءهم ويثير تعصبهم ؛ ولكن الغريب أن يتأثر بهــذه الروح كثير من المسلمين الذين يقبلون النقد من جميع الجهات غير المسلمة ولا يقبلونه من إخوانـهـم فـي العقـيـدة، فتجد حرباً شعواء تعلن على من يلفت نظرهم إلى أخطائهم وعيوبهم من المسلمين الذين يستشهدون بـ "قال الله، وقال رسوله ."

تمت بعون الله ، والحمد لله
